دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

(ٱلدَّرْسُ ٱلحَادِي عَشَر)

سُورَةُ البَقَرَة

مِنَ الآيَةِ ﴿٢٥٢﴾ إِلَى الآيَةِ ﴿٢٧٤﴾

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّد/ حُسَيْن بَدْرِ ٱلدِّين ٱلحُوثِي

بِتَارِيخ: ١١ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

المُوَافِق: ٥/١١/٢٠٠٣ م

ٱلْيَمَن - صَعْدَة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

في هذه الآيات التي سمعناها عدة مواضيع هامة، تبيَّن من خلالها سعة رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده، أو سعة ما هو هدى لهم. عندما تتأمل تجد أن هدى الله قدِّم بالشكل الذي يمكن أن تكون معظم أجهزة جسمك معظم جوارحك كلها تشتغل في طاعته، وأن يكون كل ما لديك من الأشياء مثلاً: مال، المال الذي هو شيء أساسي من ضروريات الحياة، أن يكون هو أيضاً محط لأن يكون فيه خير لك، ويتضاعف بسببه الأجر لك، وتزكو بسببه نفسك، تُثبِّت به نفسك، هذا من رحمة الله الواسعة التي يجب أن نشكر الله سبحانه وتعالى عليها فننطلق أمام كل قضية وجَّهنا إليها من تلك النظرة التي سبق الحديث عنها: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(البقرة:١٨٥).

فمن نعمة الله في المقدمة نعمة الآيات، ونعمة الرسل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُم مَن كَلَّمَ اللَّهُ﴾(البقرة:٢٥٢، ٢٥٣) أي: من كلمه الله ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ سُنة إلهية تقتضيها سعة مجالات الحياة، وسعة شؤون هذه الحياة، والأوضاع المختلفة في هذه الحياة، فيما يتعلق بالتفاضل، وتبيِّن الآية بأن التفاضل هنا كان بشكل مهمة – كما نقول أكثر من مرة – عندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿مِنْهُم مَن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ موسى هو الذي نعلم من خلال القرآن الكريم بأن الله ذكر أنه كلّمه.

مسألة التفضيل في أيِّ شيء ليست قضية اعتباطية أبداً، كلها تقوم على أساس الحكمة، ولها علاقة بالمهمة، والمسؤولية المنوطة بالشخص. عندما نأتي إلى نبي الله موسى نجد مهمته كانت صعبة جداً، حقيقة، صعبة بالشكل الذي يكاد الإنسان يعتقد بأنه كُلِّف بالمستحيل. هو خرج من مصر ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾(القصص:٢١) وإذا به يُكلَّف ويؤمَر بأن ينطلق إلى فرعون نفسه ليقول له: أن يؤمن بالله رب العالمين، ويدعوه إلى عبادة الله، وهو الذي يجعل نفسه رباً، سلطة قوية، وشعب سامع مطيع لتلك السلطة، وسلطة بلغت ربما أقصى درجات الطغيان في التكبر والعناد.

في حالة كهذه يحتاج الإنسان إلى تثبيت إلى أعلى درجات التثبيت، وطمأنة إلى أعلى درجات الطمأنة. فالله سبحانه وتعالى يذكر بالنسبة لرسله أنهم من الناس، هم من البشر يهديهم الله، يثبتهم الله، يؤيدهم الله. وقد تكون المهمة أمام نبي من الأنبياء بالشكل الذي تتطلب أن يُثبَّت على أعلى درجات التثبيت، فموسى عندما يتجه إلى مصر هل سيتجه وأصحابه مثلاً عبارة عن قبائل قوية داخل المجتمع؟

بنو إسرائيل مستضعفون، ومهمته أن يحرر بني إسرائيل من طغيان فرعون، وأن يدعو فرعون وهامان وجنودهما إلى أن يتركوا الطغيان الذي هم فيه، ويعبدوا الله، ويؤمنوا به هو كرسول ويتبعوه ويطيعوه. أضف إلى ذلك أنه شخص قتل رجلاً منهم، هو مَدين ومطلوب بمجرد أن يصل إلى مصر، إذاً فمن رحمة الله سبحانه وتعالى أن يصل به إلى أعلى درجات الطمأنة: أن يكلمه، عندما يسمع موسى كلام الله أليس سيطمئن بشكل قوي وبشكل كبير؟ ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾(النساء:١٦٤).

عندما يقول: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ثم يُبيِّن أثناء هذه الآية شيئاً مما فُضل به بعضهم على بعض تجدها قضية منوطة بمهامهم، منوطة بمسؤوليتهم، ثم إن أدوار الرسل تكون مختلفة ومهامهم مختلفة والمجتمعات التي يرسلون إليها ويبعثون فيها أيضاً مختلفة متفاوتة. فموسى كان إنساناً يحتاج إلى طمأنة من أعلى درجات الطمأنة والتثبيت لنفسيته؛ لأنها مهمة صعبة جداً، لأنه لا هو إنسان يعتمد على قومه – وهم أمة مستضعفة داخل مصر – ولا هو سيُرسَل إلى شعب هكذا بتركيبته القبلية مثلما كان يرسل أنبياء آخرون، مثل: نوح وغيره، بل دولة قوية وطاغوتية ومهيمنة على شعبها بشكل رهيب جداً ومهمة، معناها: مهمة عمل انقلاب كامل بدأ من الملك ممن يدَّعي أنه رب، من الربوبية إلى العبودية لله، أليست هذه نقلات كبيرة؟

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾(البقرة:٢٥٣) عيسى كان أمامه مجتمع بني إسرائيل مجتمع مليئ بالخلخلة، مليئ بالأطروحات المتعددة، مليئ بالتشكيكات والأشياء الكثيرة كان يحتاج إلى بينات، بينات، أي: كأن تقول: (زخم بينات) لأنه مجتمع معقد، وإن لم يكن مرهقاً من ناحية طغيان، ومظاهر ملك فيها طغيان كما كان

مجتمع فرعون، لكن مجتمع مليئ بالمشاكل والإشكاليات والاختلافات والانحرافات الثقافية.

﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾(البقرة:٢٥٣) قد يكون هذا مثلاً جبريل، أو مَلك من ملائكة الله فيه تأييد له؛ لأنها أيضاً عملية مرهقة، عملية صعبة فعلاً، فيها صعوبة يحتاج إلى طمأنة مستمرة، وتأييد. بالنسبة لرسول الله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يوجد أخبار بأن الله أرفق به ملكاً من ملائكته من بداية نشأته. فعندما نعرف مسألة التفضيل بأنها تكون على هذا النحو: ليس هناك تفضيل إلاّ وهو يقوم على مسؤولية، وتناط به مسؤولية، قاعدة عامة فيما نفهم، أنها تكون كلها على هذا النحو. فإذا فهمنا التفضيل على هذا النحو فسيفهم الناس بأن القضية في الأخير تعود بالشكل الذي فيه منفعة للناس هم، لصالحهم هم، لهذا نقول: إنها قضية مرتبطة حتى بجانب الصحة، بجانب الذكاء، بجانب المواهب، بجانب المال، أن تكون ممن فضلك الله بنسبة من المال أكثر من الآخرين تأكد بأن هناك مسؤوليات وحقوقاً منوطة بهذا التفضيل.

لأنها تحصل إشكاليات عند البعض: إشكالية ممن هم يرون أنفسهم حظوا بفضل، يقولون: (نحن فضلنا الله عليكم، ونحن أوجب الله عليكم محبتنا، ونحن، ونحن...) بطريقة جافة. والآخرون كأنهم ينظرون إلى أنه: (لماذا فضل الله الآخرين؟ لماذا، لماذا؟ لماذا أمَّا نحن؟) مفهوم مغلوط عند الطرفين؛ لأنه من تكريم الله للإنسان، من تفضيل الله للإنسان الذي قال عنه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(الإسراء:٧٠) ألم يقل هنا: ﴿بَنِي آدَمَ﴾؟ تكريم وتفضيل، من التكريم للإنسان، من التفضيل للإنسان أن يُصطفى له من يهديه، أن يُقدَّم له هدى بالشكل الذي يليق بتكريمه، بالشكل الذي يليق بتفضيله على كثير ممن خلق الله من المخلوقات الأخرى. فعندما نرى رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) شخصاً كرَّمه الله وفضله واصطفاه تجد أنه في الأخير يقول بأنه أرسله على هذا النحو العظيم رحمة للعالمين، إذاً أليس في هذا تكريمٌ لنا؟ تكريم للناس أن يكون من يهديهم، من يقودهم، من يرشدهم، من يعلمهم شخصاً يُصطفى، شخصاً يُختار لهذه المهمة التي هي تكريم وتفضيل في حد ذاتها.

هنا لم يعد هناك إشكالية على الإطلاق؛ لأنه عندما أرى شيئاً مُعيَّناً فيه تفضيل، أي: أنه تفضيل لي أن يكون على هذا النحو، بمعنى: أنه عندما تجد القرآن الكريم، أليس الله وصفه بأنه عظيم، وكريم، وحكيم، ونور، وهدى، وشفاء؟ في الأخير ماذا يقول عنه؟ للناس، أليس هو للناس؟ أليس هذا من التكريم للناس: أن ينزل الله لهم كتاباً على هذا النحو: كتاباً عظيماً، كتاباً كريماً، كتاباً حكيماً؟ وأن يرسل لهم رسولاً عظيماً وحكيماً ورحيماً؟

فإذا كان الناس مثلاً يريدون أن يقارنوا بحيث نعرف الشيء الذي هو يُعبِّر عن تكريم لنا كناس، الذي يُعبِّر عن تفضيل لنا كناس على كثير ممن خلق الله من مخلوقاته الأخرى، فقارِن بين من يصطفيهم الله للناس وبين من يفرضون أنفسهم على الناس؟ لاحِظ كيف يكون الذين يفرضون أنفسهم على الناس سواءً أن يفرضوا أنفسهم كحكام، أو يفرضوا أنفسهم كمثقِّفين، أو بأيِّ طريقة كانت! هل يكون في ممارساتهم ما يُعبِّر عن أنهم ينظرون إلى الإنسان كمخلوق مُكرَّم ومفضل؟ لا، بل يمتهنونه، يحتقرونه فعلاً، فهل يريد الناس من هذه النوعية من أجل ألاّ أقول إن هناك من هو يبدو أفضل مني؟! إن ذلك الذي هو أفضل مني هو لي بكله لأكون أنا فاضلاً؛ لأن كل ما يمتلك من مواهب، كل ما يمتلك من مؤهلات، وكمالات هي ليرتقي بي إلى أعلى مستوى ممكن أن أصل إليه.

أليس الله قال بالنسبة للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾(البقرة:١٢٩)؟ أليس هذا يرفعهم؟ أليس هو هنا سخر كل كمالاته ومؤهلاته وأخلاقه ليرتقي بالناس إلى أعلى مستوى يمكن أن يصلوا إليه؟ هذه هي السُّنة الإلهية، وهذه هي السُّنة التي يصيح منها الكثير من الناس! أي: كأن الشيء الذي يريده الناس هو أنه، لا، نريد من النوعية الأخرى التي تتعامل معنا بامتهان واحتقار وانحطاط، هذه مقبولة!

قد تكون المسؤولية مشتركة بالنسبة لهذا الموضوع، بالنسبة للخطأ، أو لسوء الفهم الذي حصل في المسألة، ما بين من يقولون: بأن الله فضلهم، وما بين الآخرين، طرح من هنا بشكل ليس على هذا النحو القرآني، ومن الآخرين، أو قد يكون فعلاً أوجد مشاعر عند الآخرين وكأن الله ميَّز آخرين هكذا اعتباطاً، وحطَّ آخرين! تنسى النقطة المهمة وهي أن نقول: سلّمنا، فضّلك الله، لكن فضلك لمن؟ لنا وأنت منوط بك مسؤولية هي تجعلك كلّك لنا، مثلما قال عن رسوله، ومثلما قال عن كتابه.

أليس هذا أعلى شيء قدَّمه؟ هذا مظهر من مظاهر التكريم الذي ينسجم مع فطرة الناس، أنت عندما تكون مكرِّماً لشخص ألست ستنتقي له أفضل ما يمكن لديك؟ تنتقي له مثلاً لتعبِّر عن تكريمك له، أو ستبحث عن أسوأ ما عندك له؟ أنت تعبِّر عن تكريمك لآخرين، أو لشخص مُعيَّن، أو لمجموعة مُعيَّنة من خلال أن تختار لهم أحسن ما عندك إذا كنتَ تريد أن تستضيفهم مثلاً، وهكذا.

في الآيات السابقة من (سورة البقرة) وعلى أساس أن (سورة البقرة) ليست هي أول سورة نزلت وإن كنا نراها في أول المصحف بالنسبة لموقعها عندما يقول: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ تلك حصيلة أعمال الرسل والهدى الذي جاء به الرسل فيما حكاه عن بني إسرائيل، أليس أدوار رسل داخل بني إسرائيل؟ تجد كيف كانت المسألة، أي: كيف كان الهدى على هذا النحو العظيم جداً، من أين جاء الهدى؟ أليس على أيدي الرسل، ومن خلال الكتب التي تنزل إليهم؟ ومع هذا تجد الاختلاف في الغالب يطرأ بعد أن يفارق أيُّ رسول أمته بسرعة، على الرغم من أنهم رسل على مستوى عالٍ، ويكون الرسول في اصطفائه في اختياره بالشكل الذي باعتبار المجتمع الذي يتحرك فيه وبُعث فيه وباعتبار مهمته لا يكون فيه نقص عن أن يقوم بالدور المنوط به باعتبار مستوى المجتمع الذي بُعث فيه والغاية التي يريد أن يصل بهذا المجتمع إليها، ولا تقصير فيما يأتي من عند الله سبحانه وتعالى من كتب.

ومع هذا تجد كيف يحصل بعد هؤلاء الرسل العظماء، وبعد تلك الكتب التي تُعتبَر بينات وهدى وموعظة ونور، ومتكاملة، أي: لا تقول إن منشأ الاختلاف هو: أنه نسي موضوعاً من المواضيع نسي ذلك الموضوع الذي لم يتناول بالتركيز عليه مما كان له أثر أن نتج عنه اختلاف ومخالفة من خالفوا! لا، من خالفوا في كل ما قُدِّم من حديث عن المخالفة هي تكون دائماً عن علم، بغي، وتعمُّد، وتعدٍّ لحدود الله.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ قد يحصل اختلاف إلى درجة الاقتتال وهذا حصل بعد موت رسول الله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وحصل بعد – تقريباً – كأنه حصل في أغلب الرسالات ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(البقرة:٢٥٣) أي: أنهم اقتتلوا. الاقتتال – طبعاً – يكون بعد اختلاف، وفئة تخالف فئة تخرج عن الطريق المستقيم، وتبغي وتعتدي ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ ما معنى البينات هنا؟ هل هي بينات تجعلهم يختلفون، أو بينات بالشكل الذي يوضح لهم الطريقة التي لو ساروا عليها لَمَا اختلفوا ولا اقتتلوا؟ ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ على الرغم من الرسل العظماء، الحكماء، الكاملين في أداء مهمتهم، الناصحين لأممهم، من بعد البينات العظيمة التي تأتي على أيديهم ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَن كَفَرَ﴾(البقرة:٢٥٣) فالنتيجة في الأخير تصبح هكذا. أيضاً لاحِظوا كلمة ﴿كَفَرَ﴾ موجودة كثيراً في القرآن الكريم داخل صف مَن؟ المسلمين، داخل صف أتباع الأنبياء تجد هذه الكلمة تتكرر كثيراً، عندما تفهم بأن معناها كفروا: رفضوا، رفضوا تلك البينات، ورفضوا ذلك العلم فانطلقوا باغين متعمِّدين ليخالفوا!

هذه القضية هامة جداً، يؤكد عليها الله سبحانه وتعالى في القرآن: أن يفهم الناس أن الاختلاف لا يكون سببه ولا منبعه شيء من جهة الله، تقصير في بيناته، أو قصور في تبليغ رسله على الإطلاق، بل منشؤه فئات أخرى. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾(البقرة:٢٥٣) هذه القضية يكون منشؤها عند البعض من معتقدات غير لائقة بالله سبحانه وتعالى، وكأنه شاء ذلك منهم! شاءه مشيئة نافذة، أي: هو أراد لهم أن يختلفوا، أراد لهم أن يقتتلوا! البعض يقولون هكذا! هذه قضية غير صحيحة. في الجانب الآخر يأتي أيضاً تأويل فيه نوع من التعسف، أنه كيف نحاول أن نجعل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ بالشكل الذي تكون لائقة بتنزيه الله سبحانه وتعالى!

لكن عندما نعرف قضية هامة: الغاية من خلق الإنسان هنا في الأرض واستخلافه في الأرض هي غاية مهمة، غاية نهايتها الشهادة بكمال الله سبحانه وتعالى – كما تحدثنا في درس سابق – الشهادة بكمال الله، الشهادة بقدسية الله، بجلاله، بعظمته، بحكمته، بعلمه، برحمته، بكل ما تعنيه أسماؤه الحسنى؛ لأنه بعد أن يأتي برسل على هذا المستوى العالي، ويأتي ببينات على هذا المستوى العالي، فانظر أنت في الأخير كيف ستكون نتيجة من يخالفونه؟ وكيف سيكون الآخرون ممن هم لا يهتمون بما يُقدِّم إليهم من هدى وبينات على أيدي هؤلاء الرسل، ومن داخل هذه الكتب الإلهية؟ كيف سيكون واقع من يخالفون هدي الله؟ أليس هذا في حد ذاته مما يعطينا شهادة على عظمة هدى الله، على عظمة رحمة الله، على حاجة الناس كل الناس إلى أن يتلقوا بإصغاء واهتمام لِمَا يأتي من عند الله؟ وإلاّ ستكون النتيجة هكذا.

إذاً فالموضوع شهادة؛ ولهذا نقول: إن الإنسان يكون دوره هنا، أي: المجتمع البشري، المجتمع البشري رغماً عنه ولو حصل على يده ما حصل من مخالفات فإن كل ما يعمله هو يشهد، تلك الأخطاء التي يعملها، ذلك الضلال الذي هو فيه يشهد بعظمة هدى الله؛ لأنه (وبضدها تتميز الأشياءُ) هذه قضية واضحة.

ولهذا نحن نقول أكثر من مرة: يجب أن ننظر إلى القضيتين مع بعض، أن تعرف أن الجانب السلبي هو يمثل شهادة أيضاً، شهادة بطريقة أخرى، أي: انظر عندما لا يسير الناس على هدى الله كيف سيكونون؟ عادة يكون المختلفون أو الذين يتجهون إلى المخالفة المتعمدة قليلاً في المجتمع، قليل، لكن هذا القليل يواجه ساحة من الكثير الذين ما كانوا يهتمون بالشكل المطلوب عندما يُقدَّم لهم هدى الله؛ ولهذا نحذّر دائماً من قضية: (القضية معروفة، الموضوع معروف) وأنها قضية يجب أن تنسَف من أذهاننا، دائماً تكون مهتماً مفتحاً وإلاّ ستكون ضحية أنت للآخرين، هذه النوعية، وسيكون الضحية هؤلاء البسطاء هم يقاتلون فيما بينهم، ويجعلونهم محرقة لأهوائهم، محرقة لضلالهم، محرقة لبغيهم وتعديهم.

الذين يتجهون إلى المخالفة المتعمدة يكونون نوعية قليلة من البشر، وقد قال لنا في القرآن بأن هناك نوعية من الناس لا ينفع فيه شيء، ولا يسمع لشيء، ولا يتجه لشيء، هذه النوعية ستبقى غير مؤثرة إذا ما كان الباقون الذين ليس لهم دوافع البغي والتعدي ليست هذه قائمة عند الكثير من الناس، لكن هم - عادة - يصبحون ضحية بساطتهم عندما كان يُقدِّم لهم هدى الله على يد أنبيائه، ومن داخل كتبه، وعلى أرقى مستوى، ثم لا يصغون بالشكل المطلوب، ويلتزمون حرفياً، ويُقدِّرون القضية حق قدرها، ويهتمون بها اهتماماً كبيراً. بمعنى: أنه هكذا قدَّم الله هداه، ونبَّه الناس على أنه يجب أن يتفاعلوا بإيجابية مع هداه وإلاّ فليجربوا أنفسهم، وليذوقوا وبال إهمالهم، وبساطتهم، وعدم تفاعلهم. لاحِظ كيف تنتهي المسألة؟

هذه قضية بهذا الشكل لا نحتاج إلى أن نقول: نربطها بعقيدة سيئة بالنسبة لله تتنافى مع قدسيته وجلاله، ولسنا بحاجة إلى تمحلات من ذلك النوع على أساس أنه فيما يتعلق بقضية (الأفعال) أي: أن الله هو الذي حرَّك أيديهم ليقتل بعضهم بعضاً! ليست المسألة هكذا.

لاحِظ موقف أمير المؤمنين - لتعرف كيف المسألة - موقف الإمام علي عندما يقول البعض: لماذا لم يتحرك الإمام علي ويذهب ليقاتلهم ولو ضحى بنفسه لو لم يكن إلاّ هو وأولاده؟ لا، لاحِظ أنت أن هذا المجتمع قُدِّم له هدى الله على أرقى مستوى، ومن الهدى الذي قُدِّم له على أرقى مستوى أن قال لهم: تمسكوا بهذا الشخص (علي) وهم يعرفون علياً من أول يوم في الإسلام، يعرفون علياً في معارك الإسلام، يعرفونه في كل المواطن، يعرفون مدى اهتمام النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) به، لم يقل: ((من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه)) في مجلس مُعيَّن، أو في زاوية من زوايا المسجد، أو لأربعة أو لخمسة، بل في يوم ظاهر شاهر - كما يقول الناس - ويوم شمس مشرقة، أي: نور واضح، حتى لا يقولوا: (كان هناك ضباب لم ندرِ، ولا رأينا مَن هو الذي رفعه). شمس واضحة، وصحراء بيِّنة، لا يوجد فيها إلاّ أشجار معدودة التي وقف تحتها حتى لا يقولوا: كان هناك شجرة ما عرفنا واللهِ من هو الذي قام معه، كان أمامي شجرة سدر، أو طلحة، أو أيُّ شيء من هذا.

أليست صحراء واضحة وشمساً محرقة؟ أي: نور واضح، لا ضباب ولا أشجار، ولا صخرات، ولا مطبَّات، ولا شيء أمامهم، قضية واضحة، ثم ترَصُّ له أقتابُ الإبل، أي: أن هناك جمعاً، أن يكون هناك عدد كبير من أقتاب الإبل ترص له، أليس هذا يعني شهادة: بأن هناك أناساً كثيراً حاضرين، لا يمكن أقتاب إبل إلاّ وهناك إبل كثيرة، ولا إبل كثيرة إلاّ ويوجَد ناس؟ أليس هذا شيئاً معلوماً؟ ثم يصعد وهم يعرفونه، ويعرفون صوته، ولا يصعد هو وحده بل يصعد معه بالإمام علي.

لاحِظ كيف يُقدَّم بلاغ الأنبياء حتى نعرف خطأ كل من يحاول أن يُقدِّم تأويلات لمن يختلفون بعد الأنبياء، أنك في نفس الوقت تحاول أن تنزه أشخاصاً، وتلحق بالله النقص، وتلحق بأنبيائه النقص من أجل أن تنزه أشخاصاً هم خالفوا مُتعمِّدين. يطلع رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ويخطب، ما هي أول كلمة يقولها؟ لأن هذه قضية هامة، حتى لا يقولوا: لم نكن منتبهين، يخطب حتى يكونوا هم مُستقرِّين، وهادئين، وساكتين، ويأتي بالكلمة، ويُمهِّد لها بشكل يربطها بالله.

لهذا نقول في حديث الغدير: حتى نحن نقدِّمه بشكل مختزل (قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه)! لا. يجب أن تنظر إلى الموضوع من أصله: ((أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين)) بهذا التسلسل مثلما قال النبي في بني إسرائيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾(البقرة:٢٤٧) ((إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، فمن كنت

مولاه فهذا – هذا – عليٌّ مولاه)) هل هناك أوضح من هذه؟ لا يوجد أوضح من هذه، ذلك المجتمع الذي سمع هذا الكلام هل أحد يستطيع أن يفرض عليه موقفاً آخر؟ هل كان لدى أبي بكر وعُمر وتلك المجموعة – مثلاً – ما يفرضونه أمام هذا البيان؟

إذاً موقف الإمام علي هو نفس موقف هذه الآيات القرآنية، من بعد ما يكون هذا المجتمع سمع كل شيء، وفهم كل شيء، وذكّرهم هو أيضاً، وذكّرتهم الزهراء هي أيضاً، وذكّرهم العوام، وذكّرهم آخرون، فلم يرضوا. إذاً فليُجرِّبوا أنفسهم، هذه سُنة إلهية داخل الأمم، الناس إذا لم يستجيبوا لهدى الله فليجربوا أنفسهم، وسيذوقون العواقب السيئة نتيجة تقصيرهم، ونتيجة مخالفتهم.

ألم يقم الإمام علي بكل ما لديه من وسائل؟ حتى في الجانب العسكري قال: ((فَطَفِقْتُ أرتئي بين أن أصولَ بيدٍ جَذّاء)). الكثير بُسطاء أثر عليهم آخرون، ونحن نقول أكثر من مرة: يجب أن نفهم الأمور على هذا النحو لئلا نقع في الإحراجات التي وقع فيها الآخرون ما بين مُقدِّس للصحابة على الرغم مما هم عليه، وما بين من له موقف سلبي تماماً يَعتبر بأنهم كفروا بما تعنيه الكلمة. نقول: لا، يوجد حالة أخرى هي حالة البساطة، حالة اللامبالاة، التي يمكن أن تحصل مع إيمانك بالقضية، مع إيمانك بالقضية.

كل الناس كانوا مؤمنين بأن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قال هكذا لعلي (عليه السلام) في (يوم الغدير) ويعرفون ما قال سابقاً، لكن لم يعطوا القضية الأهمية اللائقة بها، كانوا ضحية للآخرين عندما ضلوا، وقلنا أكثر من مرة: التضليل عادة في مواقف مُعيَّنة، لا يلامس القضية الأساسية لديك فيدفعك إلى أن تكفر بها، هذه لا تحصل، هل إبليس ذهب إلى آدم ليقول له: اكفرْ بمسألة النهي عن أكل الشجرة؟ هل قال له هكذا؟ لا، بل كلام آخر والموضوع هناك. هل قدَّموا لهم أن يكفروا بما قاله الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لعلي؟ قدَّموا أسلوباً آخر (عليٌّ قد قتل أناساً، وعليٌّ كذا، وهناك أناس آخرون ويمكن أن نجرِّبهم والمقصود واحد، ورسول الله همُّه واحد، وهؤلاء الناس تعرفونهم كانوا قريبين من رسول الله، وأشياء من هذه) تجعلك تتقبل المسألة التي تُعتبَر مخالفة، ولا يُطلب منك الكفر بما سمعته من النبي، وهذه من أخطر الأشياء، هذه الطريقة من أخطر أساليب الضلال.

لم يرضوا أن يسمعوا ولا يتفهموا! الإمام علي تركهم يجربون، جربوا أبا بكر، عُمر، عثمان، وفي الأخير ذاقوا هم وبال أمرهم، وأهينوا الأنصار أولاً، الذين اجتمعوا في السقيفة! ألم يكن المفروض لأولئك أن يجتمعوا مع علي، لا أن يجتمعوا هناك وحدهم، ويأتمروا وحدهم على أساس أنه ربما لا تتم المسألة لعلي؟! اجلسوا أنتم معه تتم، عندما يكونون مثلاً ولو ثلاثين شخصاً، ولو خمسين شخصاً يذهبون إليه، لا أن يقولوا: (ربما لا تتم المسألة، أحسن أن نكون قد انتبهنا لأنفسنا حتى لا يأتي آخرون يمسكون بزمام الأمور فيظلموننا) لم تنفعهم هذه، ظلِموا، وأهينوا، في أيام أبي بكر، وعُمر، وعثمان، ومعاوية، ويزيد اجتاح المدينة اجتياحاً رهيباً جداً، قتل منهم حوالي سبعمائة شخص أو أكثر، وانتهك أعراضهم ودمَّر بيوتهم، أي: قضية رهيبة جداً حصلت لهم.

هذه القضية قائمة في دين الله، هذا هدى الله هل الناس سيقبلونه؟ يجب أن يقبلوه وإلاّ فيجب أن يعرفوا بأن البديل هو الخزي والعواقب السيئة في الدنيا والآخرة، و﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ كما سيأتي بعد: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(البقرة:٢٥٦) إذا لم تستقم فستذوق أنت العواقب السيئة للغي، للضلال.

الله سبحانه وتعالى بالمشيئة يستطيع أن يوقفهم، أليس يستطيع أن يُجمِّد أيديهم؟ لكن قد قدَّم لهم ما يجعل أيديهم بناءة، وأيدي خيرية، وليست أيدي تتحول إلى خلق قتال بعد أنبياء الله بسبب مشاققتهم وخلافهم وبغيهم، أي: العبرة في هذا هو أننا نحن ننظر، وكل الناس ينظرون هكذا تكون عاقبة من يخالفون هدى الله، وتكون هي في حد ذاتها فيها هدى للناس.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾(البقرة:٢٥٣) لتبقى القضية من واقع الحال، من واقع حياة الأمم شاهداً، أو قضية يهتدي البسطاء ويفهم الكثير الذين لا يهتمون، ليفهموا أنهم سيكونون ضحية للمضلين الذين هم – عادة – قليل، من يخالفون بغياً، عادة يكونون قليلاً.

مثلاً بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) مجموعة مُعيَّنة لو توقفت عن بغيها ومخالفتها المتعمدة لأمكن أولئك البسطاء أن يسيروا على ما قال رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يوم الغدير، والإمام علي يحكمهم، وليس هناك أيُّ مانع، ولن يشاقوا ولا شيء، هذه كان يمكن أن تحصل، لكن بساطتهم؛ ولهذا أجابوا على الزهراء قالوا: (خشينا الفتنة)! أي: قد جاء كلام كثير (وقوفنا مع الإمام علي سيؤدي إلى اقتتال، وقد وقف مع أبي

بكر آل فلان وآل فلان، وعلي أنتم تعرفون ربما الناس الذين معه قد يكونون قليلاً، ربما يجتمعون مع الآخرين ويؤدي إلى اقتتال وعدو مِن خارج و، و...إلخ) أي: بهذه الطريقة يجعلونهم يقولون: خشينا الفتنة! قالت لهم الزهراء: ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾(التوبة:٤٩) هذه هي الفتنة.

فهذه فيها هدى لنا، هدى للناس أن يفهموا هكذا؛ ولهذا كانت قضية خطيرة جداً على من اختلفوا بعد آخر الأنبياء، وبعدما ذكر لهم ما حصل بعد الأنبياء الكثير، ألم تكن بالشكل الذي يفرض عليهم أن يكونوا منتبهين بشكل كبير، يُسَطر ما حصل بعد الأنبياء السابقين، وما حصل بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أليست بالشكل الذي يفرض على الناس أن يتنبهوا من بعد؟ أن يتنبهوا فعلاً، فإذا ما كانوا أمام القرآن فعليهم أن يكونوا حريصين على الاهتداء بشكل جاد، وإلاّ سيكونون ضحية للتضليل.

إذا كان أولئك الذين تعاملوا مع كلام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) مع شخصه - وهو الذي يحدثهم هو، والقرآن يتنزل عليهم - ببساطة؛ لأنهم مؤمنون برسول الله، والآيات (وصدق الله العظيم، وباهر، والقضية معروفة، ومسلّمين) لكن ليس هناك تفكّر، ليس هناك تركيز، ليس هناك التزام حرفي، فاعرف بأنه سيحصل حتى بالأولى بعد آخرين؛ لأنه ليس هناك أحد في الأمة سيكون مثل رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ولا حوله، بعد رسول الله، وبعد الإمام علي، وبعد الحسن والحسين، ليس هناك أحد ترى بأنه سيكون مثل واحد منهم أبداً. لكن يجب أن نلحظ ماذا؟ كل هذه الأمثلة؛ لأنها أيضاً تعطينا وعياً، تعطينا بصيرة، تراهم اختلفوا بعد أنبيائهم نتيجة بساطة هؤلاء، وتعمُّد وعدوانية وبغي فئة مُعيَّنة، إذاً فيجب أن نحذر فلا نكون بسطاء، ولا نسمح لأولئك المخالفين والمعاندين أن يكون لهم كلمة تُسمَع.

لهذا أنا أستبعد مسألة: أن الإمام علياً كان يقول: (حقي وتراثي) وأشياء من هذه! لا أعتقد أن هذه صحيحة مسألة: حقي، حقه الشخصي، وعبارة قالوها عنه: (والله لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن الظلم إلاّ عليَّ) هذه عبارة غير صحيحة، بل بعيدة جداً، أي: هذه عبارة مَن لا يعرف ولاية أمر الأمة وأهميتها، كيف يمكن لإنسان يعرف أهمية ولاية أمر الأمة بالنسبة لاستقامة الأمة، ويكون لا يزال معتقداً أنها ستسلَم أمور المسلمين! هل سلمت أمور المسلمين من ذلك اليوم إلى اليوم؟! لم تسلَم.

إذاً ففي المسألة دروس هامة، ولولا أن فيها دروساً هامة جداً وعبرة للناس تمثل في حد ذاتها هدى للناس كأمثلة واقعية من الواقع، من الأمثلة السلبية، يكون هناك نماذج تقدِّم هدى: طالوت والمؤمنون معه، أليست هذه نوعية؟ والنوع الآخر أيضاً نماذج، تعرف أنت خطورة الجانب السلبي عندما تعرِض عن هدى الله.

فعندما يأتي البعض يقولون: إذاً الإمام علي ما دام أنه لم يقاتلهم، إذاً معناه: وكأنه رضي بهم! لا، هي هذه السُّنة، يحاول أن يبيِّن لهم، وقد بيَّن لهم الرسول على أكمل طريقة، هل لا يزال يُحتمَل أن رسول الله قصَّر فيحتاج الإمام علي أن يتكلم؟ كل ما يأتي من الإمام علي هو زيادة خير فقط؛ لأن الفترة قريبة ما بين يوم الغدير، وبين يوم موت الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهؤلاء الناس هم الذين عاصروا النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ويعرفون علياً تماماً حتى ولو لم يتكلم، لو لم يتكلم، أمَّا عندما يكون قد تكلم وبيَّن، والزهراء تكلمت، وآخرون تكلموا هذا كله يُعتبَر زيادة من عندهم، وإلاّ فكان ما قد حصل من عند النبي فيه الكفاية؛ لأنه نفس الجيل، ونفس الأشخاص، والقضية قريبة، أي: ما قد طالت الفترة من يوم الغدير إلى موت النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

في الأخير يقولون: إذاً هو عندما لم يقاتلهم فكأنه أقرَّهم على هذا! لا، لا يوجد إقرار، إنه بيَّن المسالة، وإذا نفس ذلك المجتمع لم يعطِ القضية أهميتها! إذاً فانطلقوا جرِّبوا أنفسكم، وانظروا كيف.

وهذه القضية أساسية في موضوع هدى الله، ألم يكن باستطاعة الإمام علي أيام حكمه - مثلاً - أن يمارس طريقة معاوية في الحكم، وطريقة الحكام من بعده؟ ألم يكن باستطاعته؟ أيُّ واحد منا يستطيع أن يحكم الأمة على طريقة هؤلاء الحكام وبكل بساطة، تقمع هذا، وتوزع أموال المسلمين لهذا وهذا! يستطيع الإنسان، لكن ترك المسألة قائمة على أساس أن يكون هناك وعي عند الناس هم؛ لأن القضية مرتبطة بهم هم، أن يكونوا واعين أنهم عندما يستجيبون وعندما يهتدون بهدى الله فسيصل بهم إلى أعلى مستوى، وإذا خالفوا فسيذوقون هم وبال أمرهم.

أي: لن تكون القضية بسيطة أنهم فقط خالفوا، وعاندوا، وعاشوا حالة اللامبالاة، وعدم الاهتمام، ومشت

الأمور طبيعية، سيُضرَبون؛ لأن ولاية الأمر في الإسلام لم تُقدَّم بالشكل الذي يحس الإنسان بحالة من الكبت أو القهر أو ضعة النفس مثلما يحصل في ظل حكام الطاغوت، لا تحصل هذه على الإطلاق. ألم يكن الإمام علي – وهو في الكوفة – بالشكل الذي يتعاملون معه كأيِّ شخص آخر؟ لكن يأتي معاوية أو آخرون، وإذا كل واحد يشعر بأنه هناك: ضعة، تحطيم للنفوس، نسف للتكريم للإنسان؛ لأن الله جعل ولاية أمر عباده بالشكل الذي يكون لائقاً مع تكريمهم، فإذا كانوا كرماء فليسيروا على هديه، وإذا لم يكونوا كرماء فسيدوسهم الآخرون، سيحكمهم من يليق بمثلهم.

ولهذا هناك حديث أو أثر معروف، المهم أنها مقولة واقعية: (كيفما تكونوا يُولَّ عليكم) أنتم كرماء لن تقبلوا إلاّ كرماء، أنتم ليس لديكم اهتمام بهذا الجانب، أي: نفوس منحطة لا تبالي، فسيأتي لكم من نوعكم: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾(الأنعام:١٢٩) هذه قضية ثابتة، وإلاّ فالإمام علي كان يستطيع أن يحكم العالم كله بطريقة معاوية ولا أحد يتجرأ أن يخالفه، ولا أحد يجرؤ أن يخرج عن صفه؛ لكن يكون فيها ماذا؟ خوف عند كل واحد، حتى لا أحد يشي[1] به عند السلطان، لا يأتي أحد يلفق عليه قضية، لا يظن ربما أنه متآمر عليه فيمسحه وأشياء من هذه.

يعيش الناس نفوساً منحطة، النفوس المنحطة في الأخير لا تعود جديرة بأن تنهض بالمسؤولية؛ لهذا لاحِظ الشعوب العربية الآن كيف واقعها؟ أليست شعوباً ضرِب تكريمها، ضُرِبت كرامتها من قِبَل حكامها، حتى – في الأخير – لم يعد لديهم عزة نفس ولا كرامة بأن يكونوا مستعدين أن يواجهوا العدو الآخر مهما كان سوؤه! نفوس قد رُوِّضت على الإذلال والإهانة والاحتقار حتى أصبحت لا تبالي يحكمها مَن يحكمها.

فالتربية الإسلامية هي بالشكل الذي يجعل الناس يحملون نفوساً رفيعة، يشعرون بطمأنينة، يشعرون بتكريم، لا يخاف على نفسه، لا يخاف من مجرد كلمة تقال عليه، لا يوجد قتل على التهمة والظِّنة كما يعمل الآخرون؛ لأن هذه النفوس الرفيعة تكون هي الجديرة بأن تكون ماذا؟ تواجه الأعداء الخارجيين، وترفض أيَّ طغيان يريد أن يتحكم عليها، ويفرض نفسه عليها.

إذاً فنحن ننظر إلى هذه الآيات من منظار ما فيها من هدى، تجد لها نظائر – مثلاً – ما يسمَّى بأخطاء لأنبياء في مجال عملهم مثلما حصل في (سورة عبس) مما حكاه الله عن نبيه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أليست أشياء الله سبحانه وتعالى يستطيع من قبل أن يوجِّهه ألاّ يجلس مع أولئك، بحيث لا يحصل منه الخطأ؟ أليس هذا ممكناً؟ تترك المسألة؛ لأن فيها درساً مهماً جداً، تمثل هدى عظيماً جداً للناس، لنفس النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وللناس من بعده، لمن يكونون هداة، وللكل؛ ليعرفوا بأن دين الله يجب أن يدخل الناس فيه من باب واحد هو باب العبودية لله، ليس هناك دخول من فوق، ومحاولة أقلمة للدِّين مع هؤلاء الكبار، وإملاءات مُعيَّنة من أجل أن يدخلوا في الإسلام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(البقرة:٢٥٤) أمر للناس بالإنفاق بشكل عام، وستأتي أكثر الآيات التي سمعناها الليلة تتناول موضوع الإنفاق بشكل كبير بمعنى: أن الإنسان عندما ينفق هو إنما ينفق مما رزقه الله، لماذا تبخل بالشيء الذي لم يبخل به الله عليك؟ عندما يقول لك: انفِق فأنت لا تنفق من الشيء الذي أنت أبدعْتَه وفَطْرتَه وخَلْقْتَه، بل هو مما رزقك الله، وعندما تنفق مما رزقك هو أيضاً لمصلحتك أنت بمَا فيها ليوم القيامة؛ لأن كل ما تنفقه هنا أنت بحاجة إليه في يوم القيامة، يوم القيامة لا يوجد فيه بيع وشراء، لا يوجد فيه أيُّ محاولة كسب أشياء.

﴿لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ﴾ من المخاللة، من الصداقة، أو الصحبة ﴿وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾ لا أحد يشفع لأحد إلاّ لمن ارتضى ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون بهدى الله، بتوجيهاته هم الظالمون لأنفسهم، هم الظالمون، أي: لا يكون ظلم الإنسان محصوراً في دائرة نفسه، ظلمك لنفسك في الأخير له علاقة كبيرة بالظلم للآخرين.

﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾(البقرة:٢٥٥) هذه (آية الكرسي) من أهم الآيات في القرآن، من أهم الآيات في كونها آية تمجيد لله سبحانه وتعالى، وآية تحكي عن سعة علمه فيما يتعلق بهذه الدنيا، وفيما يتعلق بالآخرة، وأنه قيوم السموات والأرض، هو الإله الذي ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

(١) وَشىَ به إلى السلطان (يَشي) وِشَاية: نَمَّ به وسعى.

﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ سِنَة يقولون: إنها أول النوم (الهِقّادَة) ويسمونه نعاساً. ﴿وَلاَ نَوْمٌ﴾ يغط في النوم؛ لأنه قيوم السموات والأرض.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ...﴾ إلى آخر الآية. بمعنى: أنه عندما يخبر بموضوع الشفاعة، هو تقدَّم في موضوع الشفاعة في الآية السابقة. وتجد هذه الآية - مثلاً - لها علاقة بالآية الأولى فيما يتعلق بالناس الذين يختلفون بعد الأنبياء. عادة الاختلاف بعد الأنبياء يكون بشكل مقلق لهذا الطرف الذي يخالف فيحاول أن يُقدِّم معتقدات مُعيَّنة غالباً ما تكون بالشكل الذي يؤمِّن الناس من ماذا؟ من عذاب الله (موضوع شفاعات) أليست هذه حصلت في الرسالات من بعد الأنبياء عند اليهود؟ تقدَّم ما قال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾(البقرة:٨٠) والنصارى أيضاً حصل عندهم بأن المسيح يُدخلهم الجنة، أمَّا هو فقد شفع من الآن: ذبحه كفارة لخطيئات الناس! يخطئ واحد كيفما أراد فليس عليه شيء وهو يحب المسيح!

لاحِظ كل هذه، أي: أن قضية جهنم قضية مزعجة، وأن يظل الناس خائفين من جهنم بشكل يكونون بعيدين عن الاستجابة لأطراف أخرى في أشياء قد تبدو في مرحلة من المراحل، أو في موقف من المواقف، أو على أيدي أحد من الناس أنها قضايا خطيرة تؤدي بأصحابها إلى النار فيكونون قد أمّنوا، هناك شفاعات! هذه حصلت بعد موسى، وحصلت بعد عيسى داخل أهل الكتاب كلهم، وحصلت بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ألم تُقدَّم هذه القضية: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)؟

إذاً أنت لاحِظ هنا يقول لك في موضوع المال، وأمام أمر بطاعة: ﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾(البقرة:٢٥٤) أنتم عندما لا تنفقون مما رزقناكم تقدمون على الله خاسرين، ليس هناك شفاعة ﴿لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾(البقرة:٢٥٤) فإذا كان هنا ينفي الشفاعة فهل يمكن أن تفترضها صحيحة فيما يتعلق بالمخالفات للأنبياء؟ هل يمكن أن تفترضها صحيحة في القضايا الكبيرة التي فيها اختلاف بعد الأنبياء، واقتتال، وتقديم ضلال؟ لا يمكن، هو وجَّه هنا إلى عمل مُعيَّن ويقول لك: أنت بحاجة إليه؛ لأنه ليس هناك شفاعة، فكيف يمكن أن يُؤمِّن مجرمين ويقول لهم: إن هناك شفاعة؟

ويقول في آية الكرسي: بأن الله وحده الإله، فليس موسى إلهاً، وليس عيسى إلهاً، وليس محمد إلهاً، وليس أحد من الناس يمكن أن يكون له نفوذ في ذلك اليوم، الله هو وحده الإله، وهو قيوم السموات والأرض، وفي نفس الوقت، في اليوم الآخر هو يعلم ذلك اليوم، وهو الذي يأتي بذلك اليوم، في الموعد الذي حدده هو، وهو الذي يبعث عباده، يبعث الناس، وهو الذي يحشرهم، وهو الذي يحاسبهم، ليس هناك نفوذ لأحد من خلقه على الإطلاق كائناً من كان: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ وكلمة ﴿بِإِذْنِهِ﴾ ستعرف بأنه بعيد أن يشفع للمجرمين عندما ترى أنه يقول لمن لا ينفقون في سبيل الله: أنهم لن يجدوا شفاعة، فكيف من يكونون على هذا النحو الذي يحصل من بعد الأنبياء، وعلى طول مراحل - تقريباً - التاريخ: جرائم كبيرة، انتهاك للأعراض، قتل، سفك للدماء، تحريف للدِّين، جرائم كبيرة؟ فكيف يمكن أن تُقبَل (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)؟!

أليس الله يقول: بأنه ليس هناك شفاعة على الإطلاق؟ هو يعلم هو، ليس معناه أنه يخبر عن يوم قد تأتي فيه ترتيبات آخرين يرتبون هذا اليوم، أو الذين دعوا إليه هم آخرون فتكون القضية احتمالات: ربما تأتي شفاعة، لا، هو هو يعلم بأنه لا يمكن أبداً؛ لأنه هو الذي يقوم بشؤون ذلك اليوم هو سبحانه وتعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(غافر:١٦).

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾(البقرة:٢٥٥) يؤكد إحاطة علمه بحيث لا يبقى أيُّ احتمالات بأنه ربما يكون هناك شفاعة، أو ربما تُقبَل مغالطة مُعيَّنة، نرتب مسألة مُعيَّنة فقد تُقبَل هناك، هو يعلم بدينه الحق، ويعلم بالضلال، ويعلم بالضالين، ويعلم بالمهتدين، ويعلم بأنه لا أحد يشفع لهؤلاء على الإطلاق، وأنه لا تتم شفاعة هناك ﴿إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ وهو يعلم لمن سيأذن، أليس الله هو سيعلم لمن سيأذن؟ ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾(البقرة:٢٥٥) إذاً العلم هو من عنده: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(الإسراء:٨٥).

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾(البقرة:٢٥٥) الكرسي هنا: بمعنى العِلْم، وقد تختلف مسميات العلم، قد يكون مثلاً عندك علم لكن علمك عبارة عن معلومات، أو يكون عندك علم بالشكل الذي يجعلكَ مصدر

معلومات، مصدر علم مثلما يقولون: (فلان كرسي الزيدية) ألم تكن هذه عبارة معروفة؟ ماذا يعني؟ هذا عنده علم، وهذا عنده علم، وهذا عنده علم، لكن هذا عنده علم يُعتبَر ماذا؟ مصدر علم يؤتي علماً، منبع علم. فالله سبحانه وتعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ عِلْمه الذي هو على هذا النحو ليس مجرد معلومات من الآخرين؛ لأنه هو الذي يؤتي العلم هو، هو الذي يمنح العلم هو، فعلمه (كرسي) كرسي بما تعنيه الكلمة.

﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ﴾: لا يشق عليه، ولا يثقله أبداً ﴿حِفْظُهُمَا﴾ حفظ السموات والأرض، وحفظ ما في السموات وما في الأرض، وحفظ أعمال الناس. هذا يُبيِّن بأنه الإله وحده، وأنه الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، هو الذي يعلم بأنه لا يؤتي الشفاعة أبداً؛ لأن مسألة: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ﴾ هي قضية رئيسية داخل آية الكرسي، تقرير موضوع الشفاعة: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ بهذه العبارة، أي: هو الإله وحده، إذاً فمَن ذلك الذي يمكن أن يشفع لأحد ﴿إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾؟ وعلاقتها بما قبلها من الآيات هامة، علاقة هذه الآية السابقة في موضوع الشفاعة: ﴿يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾(البقرة:٢٥٤) في موضوع إنفاق، هل سيأمل المجرم بشفاعة؟ وهنا لا يأمُل الذي لم يُقدِّم طاعة مُعيَّنة فينفق من أمواله.

ولأنه سبحانه وتعالى هو العليم الذي وسع كرسيه السموات والأرض، وهو يعلم السر والنجوى، ويعلم الغيب والشهادة، وقال في تنزيل القرآن: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(الفرقان:٦) قال فيما بعد في موضوع الدِّين: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٥٦) هذه قضية مناسب جداً أن نتحدث ونتفهم حولها؛ لأنها من الآيات التي يشتغلون فيها الآن، يحاولون أن يهدِّئونا أن نترك ظلم الغربيين، وأن نشفق بهم! وكأننا نحن مَن قواعدنا العسكرية في صحاريهم، وفي براريهم، وفي مدنهم، وفي بحارهم؛ فنسمع من يقول: (﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ لا إكراه، الله قال: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ دعوة يا أخي فقط وافق الآخر وإلاّ فيكفي، كل واحد على ما هو عليه والباري سيحاسبهم كلهم، كل واحد سيحاسَب وحده) بطريقة يراد منها – عندما يقدِّمونه على هذا المنطق – يراد منه ألاّ يكون لدى الإنسان أيُّ مشاعر تدفعه لأن يكون له موقف قوي في مواجهة أعداء الله.

أي: هم يتحدثون فعلاً حول هذه الآية! ليس الآن وقت الحديث عنها على الإطلاق؛ لأننا لو كنا نحن المتجهين لِنُكرِهَ الغربيين على الإسلام لكان ممكن أن يتحدثوا حول هذه الآية، أمَّا والأمريكيون والإسرائيليون هم المتجهون لفرض ثقافتهم علينا، لاحتلال أوطاننا، لمحاربة ديننا؛ فليوجِّهوا الآية إليهم يقولون لهم: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فكيف تكرِهون في ثقافتكم أنتم؟! كيف تفرضونها على الآخرين والله يقول: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾؟! كسُنة ثابتة في دينه كله، لا يقوم على أساس الإكراه، بل يقوم على أساس التبيين، وقد تحدَّث، أليس هذا تبييناً واضحاً؟ كم أعطانا من تبيين خلال هذه السورة الواحدة من القرآن؟ كم أعطى من تبيين خلال الحديث عن بني إسرائيل؟ أي: أن الله سبحانه وتعالى لأنه العليم فلا يعجزه أنه ليس لديه معلومات وإنما فقط هكذا عملية قسر، لا، يجعل دينه قائماً على أساس التبيين، والتبيين الوافي، التبيين الكامل.

هذه الآية: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ هي تحكي قاعدة عامة، أو سُنة إلهية في الدِّين، وكيف المسألة؟ هل المعنى كما يُقدَّم بالشكل الذي يجعلك تقر الآخر على ما هو عليه، أو هم في نفس الوقت يقدِّمون تفسيرهم بالشكل الذي يشهد بأنهم مخالفون لأنبياء الله، وكتبه، وللقرآن الكريم، بالذات ما في هذه الآية؟

في المقدمة يجب أن نفهم الدِّين عندما يقول: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ نفهم الدِّين أساساً ما هو؟ أليس في الدِّين إقامة العدل؟ أليس في الدِّين أن يكون الناس قوامين بالقسط؟ أليس الدِّين عبارة عن إصلاح للأرض التي هي لله؟ أليس الدِّين هو من جهة الله سبحانه وتعالى منهج وهدى ليسير عليه عباده الذين خلقهم هو في الأرض التي خلقها هو؟

بالنسبة للزمان الذي نحن فيه يوجد شواهد كثيرة على الآخرين بحيث تستطيع أن تقنعهم أمام أيِّ محاولة لتحريف معاني القرآن الكريم. معلوم الآن في مجال التقنيين، فيما عليه الدول عندما تكون في دولة مُعيَّنة فأنت مُلزَم بنظامها (قانونها) كما الآخرون ملزمون به، يجري عليك أحكام قوانين ودستور تلك الدولة، أليس هذا حاصلاً؟ إذاً هذه الأرض لمن هي؟ أليست لله؟ هي لله، ومن هو الملك؟ هو الله، وهذه هي قوانينه ودستوره بتعبيرهم.

إذاً أليس شيئاً طبيعياً والناس كلهم متفقون عليه: أن من كان على هذه الأرض تجري عليه أحكام المَلِك الذي هو مَلِك هذه الأرض يخضع لقوانينه. فلماذا البشر متسالمون فيما بينهم بهذه الطريقة: أنه في الإقليم المُعيَّن، في البلد المُعيَّن، مَن دَخَلَ هذا البلد تجري عليه قوانينه وأنت في بريطانيا، أو أنت في أمريكا، أو أنت حتى داخل إسرائيل تجري عليك قوانين الدولة التي أنت فوق تربة أرضها، أمَّا قانون الله، أمَّا شريعة الله، أمَّا نظام الله، لا، ليس معه مكان، لم يجعلوا له مكاناً في الأرض نهائياً، ولا أحد يُلزَم به، ولا أحد تجري عليه قوانينه؟!

إذاً هذه قضية معروفة لديهم، قضية متسالَم بها عالمياً - تقريباً - إذا كان يوجد مثلاً فيما يتعلق بالقوانين باقي قوانين في التعامل العالمي يوجد هناك قوانين أخرى، وقرارات أخرى من جمعية الأمم المتحدة الذي يسمونه القانون الدولي.

إذاً أليس القانون الدولي في الأخير يجرونه على الناس، الذين يتحركون في هذا العالم في مجال التنقل مثلاً: التبادل التجاري فيما بين الناس، والتبادل الدبلوماسي فيما بين الدول، وأشياء من هذه؟ أليس هناك قوانين دولية؟ لاحِظ كيف عملوا قوانين إقليمية، وقوانين دولية، فتجرى في آخرها على الناس جميعاً، ومن الذي صنعها؟ عَبيدُ الله، من دون إذن الله، لكن قانونه هو ليس له مكان! أليسوا هم يُكرِهون؟ أليس لديهم سُجون، ويعاقبون من خالف القانون باعتبار أنه تجري عليه أحكام قانونهم في أيِّ بلد أنت؟ بل تطوَّر الأمريكيون إلى درجة أن قوانينهم ليست فقط داخل بلادهم، بل وحتى خارجها أن من عمل شيئاً يمس مصالح للأمريكيين فإنه يُحاكَم هناك، ألم يسحبوا كثيراً ممن يسمونهم بتنظيم القاعدة إلى هناك، ويتدخلون في التحقيق مع أيِّ أناس يتهمونهم بأنهم ارتكبوا أشياء ضد مصالحهم كما يقولون؟ أليسوا يعملون الآن مكاتب تحقيقات في معظم الدول بما فيها اليمن؟! هذه قضية.

القضية الثانية: أنه معلوم وواضح الآن أنهم يتجهون لفرض ثقافتهم عن طريق ماذا؟ عن طريق قوَّتهم العسكرية، عن طريق ضغوطهم المتنوعة: اقتصادية، سياسية، عسكرية وغيرها، أليست هذه قضية ملموسة؟

إذاً فهم هم يمارسون هذا الشيء، فهل يمكن أن يُقبَل مِن جانبهم هم أن يقولوا: لا، لا إكراه! وهم هم يمارسون الإكراه فيما هو دون الدِّين، فيما هو دينهم هم، فيما هو ثقافتهم هم؟ هل يُقبَل منهم أن يقولوا: لا إكراه في الدِّين، وهو يُكرِهك على تَقبُّل ثقافته وتتخلى عن الدِّين؟ ألم يصلوا إلى درجة إكراه الناس لإبعادهم عن الدِّين؟

إذاً كان يكفي في مواجهة هؤلاء الذين يبرزون أحياناً في التلفزيون أن ينبهوهم، ويقولوا: ليس مقام أن يقدِّموا هذه الآية لهم، لكن يقدِّموها لنا، أي: ليس مقام أن يقدِّموها لنا في مواجهة ما يأتي من جانبهم، بل يقولوا لهم: أنتم تعملون هذه الأشياء حتى لو فرضنا والدِّين كما تقولون: بأننا نُكرِه الناس عليه، وأن الإسلام انتشر بالسيف، وأنه يقوم على القهر، وأشياء من هذه، فأنتم ماذا تفعلون الآن؟ أليسوا يفعلون هذه الأشياء؟ يجب أن يفهم الناس هذا: بأن ما يعملونه هم يعطي كامل التبرير لأن تعمل ولو بلغ عملك إلى أن تعمل ما عملوا معك، أليست سُنة عملوها هم؟ أي: لم يعد يبقى لهم منطق مقبول حتى لو وصل الناس إلى أن يعملوا معهم كما عملوا هم معنا.

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قضية حقيقية في موضوع: أن دين الله ليس قائماً على الإكراه، بل هو قائم على موضوع التبيين، لكن ليس المعنى أن تأخذ موضوع التبيين بمعنى إن قُبِل فلا بأس وإن لم يُقبَل فمع السلامة! لا، وإنما بمعنى لن أكرهك على قبول الدِّين لكن للدِّين موقف منك إذا رفضت، الدِّين يُقدِّم نفسه بأنه الإصلاح لعباد الله، والإصلاح لأرضه، هذه واحدة، الدِّين فيه أشياء، فيه قيام بالقسط، فيه قيام بالعدل، أنت إذا لم تقبل هذا الدِّين في الأخير تعتبَر عنصراً فاسداً؛ إذاً للدِّين موقف منك باعتبارك عنصراً فاسداً، وليس المعنى أنه يُلاحِقك (لازم تؤمن، لازم، لازم...) بل يُبيِّن لك، يبين، يبين، وعندما لا تقبل مثل هذا الهدى العظيم، مثل هذه البينات الواضحة، مثل هذه التي يُقدِّمها بأنها خير لك أنت، إذاً فأنت عبارة عن عنصر إفساد، عن عنصر لا يصلح بقاؤك هنا في ظاهر الأرض يجب أن تبقى تحت؛ لأن الله قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾(الروم:٤١) إذاً فالموقف منه بأن يُزاح.

أول شيء لا يجوز أن تقف أمام هذا الدِّين (هذه قاعدة عامة) لا يجوز لأيِّ طرف، وليس لأيِّ طرف حق أن يصد عن تبيين هذا الدِّين، في أيِّ بقعة من بقاع الأرض، فمتى ما تحرك ليصد فليواجَهْ، الذي لا يقبل هذا الدِّين

نهائياً، على الرغم من وضوحه، وأنه هدى، وأنه بناء للنفوس لتكون نفوساً صالحة، أليس يشهد على نفسه بأنه في الأخير عنصر فاسد وعنصر ضال؟ وأنه هنا يمثل الجانب الذي يُظهر صورة قاتمة عنه، من خلال الحديث عن بني إسرائيل، من خلال الحديث عن الكافرين، أليس يُنسَب إليهم الفساد في الأرض، يُنسَب إليهم إهلاك الحرث والنسل، يُنسَب إليهم كل شر في هذه الأرض؟

إذاً فتزاح، وعندما يزيحك فهو هنا لا يُكرِهك على الدِّين، لا يوجد إكراه على الدِّين، لكن ممكن أن يحميك أنت عندما تدين بهذا الدِّين. لهذا عندما يقول: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) لأن دين الله دين عملي، أي: من مهمة الذين يدينون بدين الله إذا – فعلاً – كانوا صالحين، وبشكل صحيح، لا أن يستخدم الدِّين وسيلة لظلم عباد الله، من كانوا على هذا الدِّين فيعرفون أن من مسؤوليتهم تطهير الأرض من الفاسدين. وإذا الأمريكيون أنفسهم يقولون: إننا فاسدون، وإن هناك محور الشر، أليسوا هم يقولون: محور الشر، ويقولون هم: هؤلاء الناس أشرار يجب أن يُزاحوا وأن تُطهَّر الأرض منهم؟ أليسوا يُقدِّمون هذا؟

الدِّين هو عملية تطهير للنفوس، وتطهير للأرض من الفساد، ومن الفاسدين، ليس معناه أنه لا بُد أن تؤمن بهذا الدِّين، لا بُد أن تُسلِم رغماً عنك، أبداً (عساك ما تُسْلِم) لكن لهذا الدِّين موقف منك: تُزاح؛ لأن من مهمة الدِّين تطهير الأرض من الفساد، تجد أن هذه المهمة – فعلاً – في معارك النبوة، في معركة (بدر) ماذا حكى الله عن قريش؟ أخرجهم إلى المجزرة إلى حيث يُنحَرون، ومهمة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ومن معه أن يطهروا هؤلاء: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾(آل عمران:١٢٧) هذه مهمة أساسية بالنسبة لمن يدينون بدين الله: أن الدِّين هو لتطهير النفوس وتطهير الأرض، تطهيرها من الخرافات، تطهيرها من الفاسدين، تطهير النفوس أولاً من الفساد.

إذاً فمسألة إكراه لا يوجد إكراه هنا في الواقع، ليس هناك إكراه نهائياً. فعندما يقول: (أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله) معناه إلاّ أن يقولوا، هو يبيِّن للناس، ويوضح للناس، فعندما لا ينفع هذا التبيين، ولا ينفع هذا التوضيح فهذه هي تُعتبَر عناصر شريرة.

فالأمريكيون هل يمكن أن ينقدوا الناس أو ينقدوا الدِّين في هذه الرؤية؟ وهم يقولون هم ورفعوا شعاراً قالوا: إيران والعراق وكوريا محور الشر، وكل من حولهم شر يجب أن تطهر الأرض منهم، فعندهم فكرة أنه يجب أن تطهر الأرض من هؤلاء المسلمين، بل كل الأمم الأخرى التي لا تسمع وتطيع لهم، وتقبل ثقافتهم، وتقبل القيم الأمريكية – كما يقولون – (هؤلاء شريرون تُطهَّر الأرض منهم ليأتي المسيح كما يعتقدون ولا يوجد أحد شرير أمامه، قضينا عليهم) هذه عقيدتهم.

إذاً فالمسألة على هذا النحو، أي: جانب منها نفهم أن: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي: عملُ الناس أساساً يجب أن يكون قائماً على التبيين، لكن ويعرفوا الدِّين، أن يعرفوا أن من مهمة الدِّين أن يكونوا يحسبون ألف حساب لمواقف الآخرين منه؛ لأن أهل الباطل – عادة – يجتمعون للصد عن الدِّين ومواجهة من يحمل الدِّين قبل أن يفكر المسلمون أنفسهم أن يُعِدُّوا أنفسهم، هذه قضية تحصل ليس فيها شك، ثم إن الدِّين هو دين عملي، وليس ديناً يُقدَّم هكذا مبتذلاً بحيث: (إن كنت تريد هذا وإلاّ فلا بأس ابقَ على ما أنت عليه ويكفي!) هذا دين من ملك، الناس هم عبيده، والأرض هي ملكه، هو الذي خلقهم، وليس فقط تسلط عليهم، هو الذي خلقها وخلقهم هو.

فإذا كان الآخرون يفرضون قوانينهم ودساتيرهم ويُلزمون مَن كان داخل الإقليم الذي تحكمه دولة مُعيَّنة أن تُجرى عليه أحكام ذلك القانون ولو فيه موت، إعدامات، فيه سجن، فيه مصادرة أموال. أليست هذه القضية معروفة؟ فلماذا لا تكون هذه مهمة دين الله، وإنما يُقدَّم "طَلْبَة"[1]؟!: (لاحِظ، هذا دين باهر، تريد أن تستجيب وإلاّ مع السلامة تريد أن تسير معي يا فلان وإلاّ مع السلامة) لا، قدِّمه له لكن يجب أن يكون مَن يقدِّمونه فاهمين له، وفعلاً لو قدِّم الدِّين بالقرآن لقبله الناس؛ لأن الدِّين هنا يُقدِّم نفسه رحمة للعالمين، ونصيحة، ويعطي أهمية كبرى لموضوع التبيين، ويعطي مسؤولية كبيرة على من يتحركون أن يكونوا نموذجاً يُسهِّل على الآخرين قابلية هذا الدِّين عندما يرون من خلالهم أمة مستقيمة، أمة فيها الأمانة، والوفاء، والصدق، والأخوة، والمحبة والألفة، والتعاون، وكل القيم، هذه القيم هي قيم فطرية عند الناس ينجذب إليها الناس.

هي نعمة كبيرة على الناس أنهم وصلوا هم – ألم يعملوا كل شيء؟ – عملوا إكراهاً في الثقافة، عملوا على

(١) طَلْبَة: من اللهجة العامية وتعني: استِجْدَاء وشَحْث.

فرض قوانينهم على كل من كان داخل البلاد المُعيَّنة، أليست هذه القضية موجودة؟ فكرة تطهير الأرض من الأشرار ممن ليسوا على ثقافتهم أليست قضية قائمة؟ إذاً لم يبقَ لديهم أيُّ منطق مقبول عندما يحاولون أن يهاجموا الإسلام، ولا بقي منطق مقبول لأحد من الناس أن يحاول أن يؤقلم الدِّين وفق دعاياتهم هم، دعايات الغربيين.

هنا قل لهم: أنتم تعملون هذه، سكتهم، أنتم تعملون هذه، فإذا فرضنا أن الدِّين على ما تقولون إذاً فهو على ما تريدون، وهو لا يعمل إلاّ بنفس الطريقة التي تعملونها، فلماذا يكون من يقوم بهذا الدِّين يُعتبَرون سيئين أمَّا أنتم وأنتم تمارسون هذه الأعمال فتعتبَر خيراً وتحريراً وحرية وتطهيراً للأرض؟! يعتبرونه تطهيراً للأرض من الفساد!

في داخل الدِّين، في أحكامه التشريعية، أليس فيها أشياء يُكرَه الإنسان عليها: إذا قتل نفساً مُحرَّمة سيُكرَه على أن يُقتل؟ إذا أحد أخذ مال أحد أليس من الحق أن يُكرَه على أن يرده؟ وهكذا؛ لأن الأحكام الشرعية ليس معناها: بأنه فقط على رغبات الناس: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي: على كيفهم! ليست المسألة بهذا الشكل، لم يقم الدِّين على أساس الإكراه من حيث المبدأ، هو يقوم على التبيين، والتبيين هو هذا واضح: كتب، بينات، ورسل مُبيِّنون ومبلغون، أليست هذه القضية واضحة؟

لكن اعرفْ مهمة الدِّين لترى في الأخير بأنه ليس فيه إكراه للآخرين، لم يعجبك الدِّين إذاً مع السلامة، لكن لم يعد بقاؤك صالحاً، هذه قضية حقيقية. والأمريكيون عليها، ويرون أنه لا يصلح بقاؤنا، ويرون أن هؤلاء العرب أمة لا تصلح أن تبقى! لا يصلح أن يبقوا، بل تُطهَّر الأرض منهم؛ لأنهم ليس لديهم قابلية للقيم الأمريكية، والثقافة الأمريكية، والتأقلم مع أطروحات الغرب!

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة:١٩٣) وفي آية أخرى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال:٣٩). إذاً إذا لم يكن لديك قابلية أن تجرَى عليك أحكام هذا الدِّين فاخرج من هذه الدولة، من دولته؛ لأن الأرض هي لله، وهذا دين الله، وهذا نظامه، أين سيذهب؟ أليسوا يعملون هذه؟ إذا لم يكن لديك قابلية فسيجرون عليك أحكاماً رغماً عنك، ثم ينفونك، في الأخير ينفونك.

القاعدة الثانية: بأن من يصدون عن دين الله ليس هناك مبرر على الإطلاق لأيِّ طرف أن يصد عن دين الله، فليدخل - مثلاً - الإسلام إلى أيِّ البلدان بشكل دعوة، لكن دعوة هي امتداد لأمة، بناء أمة، أمَّا دعوة بتلك الطريقة المعروفة فلم تُقبَل في البلاد العربية داخل المسلمين، لم تعمل شيئاً هنا داخلهم، لكن كحركة دين على أساس الدِّين، وتكامل الدِّين، ألم يكن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يرسل رسائل إلى ملوك آخرين؟ يرسل رسائل إلى أن يسلموا، يرسل مبلغين، يرسل رسلاً برسائل إلى شعوب أخرى، يعرف أن مهمته أن يدعو هؤلاء إلى الدِّين، ويجب أن يصل الدِّين إلى هناك، ولن يدخلوا، يكون الموقف من عند الآخرين هم، من عند الطواغيت، من عند المفسدين هم الذين لا يريدون أن يخضعوا لقانون الله، لا يريدون أن يخضعوا لأحكام الله، وهم عبيد الله، وفوق أرضه، داخل دولته، هم الذين يحاولون أن يجمعوا الآخرين ويصدوا عنه، ويواجهوا عندما يحصل قتال، وإلاّ كان طبيعياً أن يدخل هذا الدِّين إلى الشعوب وتقبله وتدين به وتقبل أحكامه، هم ليسوا بحاجة إلى سيف.

لكن هم الذين يجعلون الجانب الدِّيني بأنه يأخذ احتياطاته؛ لأنهم في الأخير هم يقفون صادين عنه، ولأنهم يبقون هم على ما هم عليه من فساد، وإضلال ومحاربة، وفي الدِّين من أساسياته الأخذ بعين الاعتبار لهذه القضية؛ لأنها قضية ثابتة عند الآخرين، هم يعدون أنفسهم لمواجهته للصد عن دين الله، لرفض دين الله، ففي دين الله مواقف ثابتة من هؤلاء خارج موضوع الإكراه. هل يقال: إنه إكراه للدِّين؟ عساك لا تقبل الدِّين في الأخير، أي: أنه لن يؤاخذك على أساس أنه مُرْغِمٌ لك بالدِّين، سيؤاخذك على أنك ماذا؟ ليس لديك قابلية أبداً أن تقبل ما يجعلك عنصراً صالحاً في هذه الأرض وخاضعاً لإلهك وخالقك وملكك وهو الله سبحانه وتعالى إذاً فلتخرج من أرضه، ليس هناك مكان يخرج من أرضه أين يذهب؟ ليس أمامه إلاّ أن يدين وإلاّ تحت، هي هذه في الواقع.

لهذا تجد أنه فعلاً في حركة الرسالة - كما قلنا سابقاً - حصلت من هذه، أي: أن من مهمة الدِّين هو تطهير الأرض من الفساد والمفسدين، هذه القضية أساسية، فإن قبلوا هذا الدِّين وطهروا أنفسهم فلا بأس، ما لم فهناك مواقف لا بُد منها، وتلقائياً سيحصل من جانبهم هم قبل الآخرين تلقائياً.

هذه الآية لا يصح أن تقدَّم على أساس أنه ما بقي توعية جهادية مثلما يعمل الآخرون (والموضوع موضوع

دعوة)! لا، إن هذا الدِّين يعطي اعتباراً لكل الاحتمالات، ويربيك على أساس أسوأ الاحتمالات أمام حركة هذا الدِّين، فتكون معداً لنفسك للجهاد، وأن تتحرك في أن يصل هذا الدِّين إلى أيِّ بقعة في العالم، إن قبلوه بالطريقة الطبيعية فلا بأس، وعندما يصدون، عندما يرفضون تماماً ويبقون على ضلالهم وعلى كفرهم على الرغم من التبيين فهناك مواقف لا بُد منها، وإلاّ معناه في الأخير: بأن هذا الدِّين الذي هو دين الله لا يصح أن يتعامل معه كأيِّ قانون من قوانين البشر في هذه الأرض. وهل يرضى الناس أن يكون دين الله غير مقبول أن يتعامل معه كقانون من قوانين البشر التي يضعونها هم؟ الناس شاهدون على أنفسهم؛ ولهذا نقول أكثر من مرة إن الناس يعملون في هذه الدنيا في سلوكياتهم، في أنظمتهم، في أعمالهم ما هو شاهد عليهم.

فلأنها قضية ثابتة بالنسبة للطرف الآخر: أنه عادة يتحرك، ويصد، ويعد نفسه للمواجهة فكان الجهاد أساساً من أساسيات الإسلام كحالة ثابتة، وحالة تربوية من البداية، وليس فقط حالة طارئة استثنائية متى ما (ظهر عدو)! مثلما يقول البعض، يقولون: إن الأساس هو الدعوة، دعوة، دعوة، فإذا ظهر عدو فلا بأس يمكن، نقول: لكن لاحِظ على أساس أن هناك شيئاً أصبح مؤكداً: أن الطرف الآخر يقف أمام دين الله، أن مسألة أن يكون قادراً على مواجهة ذلك العدو، وقادراً على حمل هذه الرسالة هو أنه لا بُد من تربية جهادية، وحركة جهادية، وهي قضية واسعة جداً من زمان، وليس فقط إذا (ظهر عدو) أي: أن تدعو عشرين سنة فإذا ظهر عدو في عام واحد وعشرين ففي تلك السنة تحاول أن تربيهم تربية جهادية، هي مسألة تربوية من أول سنة وليس من عام واحد وعشرين، هذه مسألة تربوية؛ ولهذا تجد الحديث عن الجهاد والإنفاق داخل آيات القرآن بشكل واسع.

فعندما يقولون: إنما فقط دعوة فإذا (ظهر عدو) في الأخير تأتي (وإذا) وإذا به ليس هناك بنيان نهائياً! أليس هذا الذي يحصل؟ أين هي الحركات الإسلامية الآن في البلاد الإسلامية؟! أين دورها؟! وبعضها لها في مجال الدعوة خمسين سنة، وبعضها ثلاثين سنة! حكموا قوميون، وبعثيون، وعلمانيون، وما زالوا داعين، داعين! ظهر عليهم اليهود وإذا لم يكن هناك لديهم أيُّ بناء، أين بناؤهم؟! لا يوجد؛ لأنها دعوة، دعوة، دعوة، وأساليب دعوة، وأخلاق دعوة وفقط، ليس هناك بناء صحيح لأمة تحمل هذا الدِّين، وتوضح هذا الدِّين للآخرين بشكل جذاب من خلال سلوكياتها، من خلال بنائها كأمة، وفي نفس الوقت تكون قادرة على موقف مع أعداء الدِّين عندما يواجهون، واجهنا الآن اليهود وإذا بالحركات الإسلامية تضيع! أين هي الآن؟ والدعاة ضاعوا! حتى إن بعضهم قد صار يفتي ويقول لك: (لا يجوز لعنهم)! ألم تظهر فتاوى من هذا النوع؟ أو (لا يجوز تكفيرهم)! أي: إصدار أحكام تكفيرية.

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي أن الله بيَّن للناس بيَّن حتى أصبح الرشد واضحاً والغي واضحاً ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾(البقرة:٢٥٦) لاحِظ هذا أليس موقفاً عملياً؟ لم يقل هنا: قد تبين الرشد من الغي، فمن أراد أن يسترشد فلا بأس، وإذا لم يُرِدْ فـ(مع السلامة) لا، هنا موقف عملي: أن تكفر بالطاغوت، والكفر بالطاغوت يترتب عليه مواقف، ليست مجرد قضية من داخل، البعض يقول من داخل! لا، إنك تجد الإيمان بالله عملياً، كذلك الكفر بالطاغوت قضية عملية، كلها مواقف.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ هذه التي لا يمكن أن تخونك، أو تنتقض، أو تنفصل (تنقطع) ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٥٦) لاحِظ هنا بعد هذه الآية أليس هو سيأتي بمواقف عملية؟ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾(البقرة:٢٥٧) فكيف لا يكون في دين الله موقف من هؤلاء الذين يخرجون الناس من النور إلى الظلمات؟!

لاحِظ المقدمة يوجد قضيتان: في قضية الخمر، والقضية الأولى: نكاح المشركة، هل يكون هذا الدِّين دعوة إلى الجنة، وفي الأخير يكون في تشريعه ما يسمح بدعاة إلى النار يدخلون إلى كل أسرة؟! حرَّم نكاح المشركة. هذا الهدى أليس بالشكل الذي يجعل الإنسان زاكياً، وذهنه صافياً، وحكيماً في تصرفاته، في تفكيره، في آرائه؟ فهل يمكن أن يبيح الخمر ليشرب وهو الذي يحطم كل هذه الأشياء داخل الإنسان؟! حرَّم الخمر. عندما يكون هذا الدِّين نوراً يخرج الناس من الظلمات إلى النور فهل سيسمح بألاّ يكون هناك موقف ممن يُخرِجون الناس من النور إلى الظلمات؟ لا يصح هذا.

بعد أن قال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾(البقرة:٢٥٦) قضية أساسية لا يستقيم إيمانك وتؤمن بالله إلاّ بأن تكفر بالطاغوت، قدِّمت على (فمن يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت) أليس ترتيب الآية هكذا؟ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ

﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ ثم يبيِّن بأنه بالنسبة للمؤمنين بالله هم عمليون، وعندما يقول: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾ أنت إذا لم يكن لديك روح عملية فلا تبدو في وضعية تحتاج إلى ولي؛ ولهذا الله قال في آية الولاية: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(المائدة:٥٦) ما هي الولاية هنا؟ الولاية: أن تعتمد عليه؛ لأنك تسير على ما يقتضيه إيمانك به وعلى هداه، وتواجه أعداءه، فأنت تحتاج إلى هذا الولي سبحانه وتعالى لينصرك، ليؤيدك، ليعينك ويخرجك من الظلمات إلى النور في مواقفك، وهو جاء بعد بمواقف متعددة كنموذج من مظاهر إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة:٢٥٧) إذاً فقد تبيَّن الرشد من الغي، وتبيَّن ما يمكن أن يقدِّمه كل طرف، طرف الرشد الذي على رأسه الله سبحانه وتعالى، وطرف الغي الذي يمثله وعلى رأسه الطواغيت. لاحِظ ما يؤدي إليه هذا الاتجاه وهذا الاتجاه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ أين ينتهي الخط الأول؟ إلى الجنة، الخط الآخر ينتهي إلى ماذا؟ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة:٢٥٧).

إذاً تُعتبَر جريمة كبيرة - فيما أعتقد - عندما يتأمل الإنسان هذه الآية، وما يعمل الآخرون في تقديمه من تفسير وتحريف لهذه الآية العظيمة وما قبلها وما بعدها، وما لها علاقة به داخل آيات القرآن: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ يحاولون أن يُبرِّدوا أعصاب الناس، ويهدِّئوهم من أن يكون لهم موقف أمام أعداء الله، أمام الطواغيت الذين هذا عملهم: يخرجون الناس من النور إلى الظلمات. معناه أنك تجد النور مصدره الوحيد هو الله، أليس معناه أن الطواغيت يكونون أعداء لله يخرجون الناس من نور الله إلى ظلماتهم هم؟ ليس هناك نور آخر، مسألة النور الذي يُخرِج الطواغيتُ الناسَ منه هو نور الله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(النور:٣٥) ليس هناك مصدر آخر للنور غير الله سبحانه وتعالى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾(البقرة:٢٥٨) لاحِظ كيف تكون ولاية الله في المجال العملي، وهذا شيء طبيعي عند الناس إذا لم تكن أنت مؤمناً بهذا الشكل الذي تشعر بأن الله وليك أنت بحاجة إلى أن تتولاه فلم يصح إيمانك، عندما يشعر الإنسان بأنه ليس في حالة وكأنه يحتاج إلى الله يمثل بالنسبة له ناصراً ومؤيداً ومُعيناً فلم يصح إيمانه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ أليس هذا طاغوتاً؟ يحاول أن يُقدِّم نفسه وكأنه إله، كيف سيكون عمله مع الناس؟ أليس سيخرجهم مما يجب أن يكونوا عليه من عبادة الله وحده إلى عبادته فيكون قد أخرجهم إلى الظلمات؟ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾(البقرة:٢٥٨) أليست هذه إنارة لإبراهيم في الحجة مع هذا الطاغية؟ إذاً هناك أمامنا عدة أمثلة هامة جداً في مسألة: ﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ فتكون حكيماً في مواقفك؛ لأن الحكمة هي نور، حكيم في كل موقف، سواءً كان موقف محاجة مع آخرين، أو حتى في حالة ارتياب مُعيَّن، أو تساؤل مُعيَّن يحصل لديك وأنت متولٍّ لله، يحصل من جهة الله ما يدفعك فيخرجك من هذا الظلام الذي داخل نفسك إلى نوره، فتأتي في قصة: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾(البقرة:٢٥٩).

من الحكمة في موقف إبراهيم كيف كان بالشكل الذي أفحمه جعله كما قال: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ ألم يفحمه؟ قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾(البقرة:٢٥٨) لأن الطغاة لا يمتلكون إلاّ ظلاماً، والظلام هل يمكن أن يتفوق على النور؟ هل يمكن أن يغطي النور، أو النور هو الذي يزيح الظلام؟ ليس لديه إلاّ ظلام هو في نفسه وفي أطروحاته.

فإذا كان الإنسان متولياً لله فإنه يخرجه من الظلمات إلى النور، قد تكون الظلمات في حالة كهذه عندما لا يكون ردك حكيماً، عندما لا يكون موقفك حكيماً، عندما لا يكون لديك جرأة فتعطَى نوراً، النور هنا موقف حكيم، رد حكيم، وقوة في طرح الرد.

لم يأتِ على الطريقة التي عند المتكلمين؛ ولهذا نحن نقول في القرآن الكريم: ينبهنا إلى موضوع القضايا التي تُطرَح أمامك، فيها ما يمكن أن ترد عليها هكذا مباشرة، وفيها ما تنتقل بالرد إلى أسلوب آخر، وفيها ما يكون إعراضاً تماماً، ليست القضية الأساسية بأن يتم الرد على كل قضية باستمرار باستمرار، يجب أن تقيِّم القضايا أولاً، وتقيِّم الأطروحات أولاً.

هذا الأسلوب في القرآن الكريم هام جداً، لاحِظ في أسلوب المتكلمين عندما انطلقوا أمام كل أطروحة مُعيَّنة يقاومها هي هي، وفي الأخير قدَّموا لنا منهجاً فيما يتعلق مع الذين يُسمَّون زنادقة أو ملحدين، بعدما قدَّموا كيف واقع الإنسان بالنسبة لمعرفة الله، ثم على أساس أن هناك ملحدين وزنادقة، أول خلل بأنهم ما فهموا أن المسألة في الإسلام ليست فقط مجرد دعوة، بل هو منهج حركي. هناك فئات في المجتمع هي لا تُقدِّم إلاّ الشيء الذي يتنافى مع فطرة الناس، ولن ينفق أمام الناس إلاّ إذا كانت الساحة خالية، هذه الفئة يمكن ماذا؟ أن يكون عملك في الساحة بالشكل الذي يُهمِّشها تماماً، لا هي في حد ذاتها ممكن أن تقبل شيئاً؛ لأنها قد خرجت هي عن الفطرة، لم تعد تقبل أطروحات مُعيَّنة مثلاً؛ لأن الملحد أو الذي يسمَّونه زنديقاً يحاول أن يتنكر لمعرفته لله، يتنكر لله، هذا إنسان يقاوم فطرة لديه هو، فهل بالإمكان أن يقبلك وهو لم يعد قابلاً لنفسه هو، لم يعد قابلاً لفطرته هو، فهل يمكن أن يقبلك؟ قد أصبح يُقدِّم الأشياء بطريقة فلسفية وشُبَه يُلفقها، هذه النوعية ممكن بأساليب أن تبهتهم بها، واشتغل في الساحة تتجاوزهم، اجعلهم يضيعون هناك.

لا، قُدِّمت المسألة يوجد واحد زنديق هناك يشغلوننا به، ويشغلون الأمة به، وينزلون شبهه وأطروحاته، وأخذ ورد، ليس هناك أثر، يوجد أشياء، أي: هناك فئات من أعداء الدِّين ممن يقدِّمون أطروحات مُعيَّنة، هم في خلال العمل يتلاشون، ويصبحون لا شيء، فلا يبقى لهم ذِكر، لا لهم ولا لأطروحاتهم بطريقة تلقائية، لم يعد هناك ميدان لهم؛ لأن الشيء الذي يتنافى مع الإيمان الذي هو موجود عند كل إنسان بالفطرة، إيمان بالله سبحانه وتعالى يكون مقاوماً فيحتاج إلى أطروحات تشكيكية وعمل مستمر، عندما مثلاً لا يتمكن أن يكون له ميدان يكون هناك عمل إسلامي في الساحة، عمل متكامل، وليس مجرد فقط نقاش مع ذلك وتقدِّم ما قلت له، وقال، وقال. ما قال هو، وما رددت عليه!

سلك المعتزلة والمتكلمون بشكل عام هذه الطريقة، وتجدهم فعلاً عجزوا أمام شبه مُعيَّنة كان منشؤها أسلوبهم الخاطئ في التعامل مع هؤلاء، وإذا في الأخير لا جعلوا الزنادقة يُسلِمون ولا سَلِم الناس منهم.

هنا كان جواب إبراهيم عندما ادَّعى هذا الملك: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ لم يأتِ يناقشه في مسألة كيف تستطيع أن تحيي، وكيف، وكيف...إلخ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ طلِّعها من غربي ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾(البقرة:٢٥٨) عرف أنه عاجز وأنه كذاب في دعوته الربوبية.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(البقرة:٢٥٩) أليس فيها عملية استبعاد؟ أي: كيف ستتم هذه المسألة؟ ولاحِظوا الناس عادة في بعض المراحل يكون هناك أخذ ورد ونقاش كثير، وتساؤلات وجدل حول نقطة مُعيَّنة، تكون أحياناً بالشكل الذي توجد لديك حالة من الريبة فيما لو...، لاحِظ مثلاً تحصل داخل المسلمين الآن تجد علماء كباراً لكن قضايا مُعيَّنة هي في الواقع ليس لها أساس من الصحة تجده يتهيب أن يخرج منها ولها أثر في نفسه.

تجد كُتّاباً كباراً من (الاثنا عشرية) وعلماء مراجع كبار (آية الله كذا) ومؤمن بمسألة أن المهدي موجود من (عام ٢٥٥ هجرية) إلى الآن، والله أعلم إلى أيِّ وقت، قضية مستبعدة جداً أن يكون هذا إماماً وحجة يبقى غائباً هذه الفترة الطويلة وهو حجة الله على عباده! أليس كذلك؟ لكن الأخذ والرد والثقافة التي نشأ وهي تردد في البيت، في المدرسة، في المسجد، في المناسبات، في التجمعات، في كذا، جعلته يتأثر بهذه.

هنا عندما تكون مسألة البعث مما حصل فيها أخذ ورد حصل عند الكثير بادرة من هذه، خاطرة مُعيَّنة، أي: كيف تتم عملية إعادة هذه؟ أليس هنا حصل ما نسميها خاطرة ظلامية؟ لكن هذا الإنسان يبدو هو من المؤمنين، لكن الإنسان المؤمن يحتاج إلى هداية مستمرة، إلى رعاية مستمرة فيكون بينك وبين الله في علاقتك به أسس ثابتة تساعدك على أن يرعاك في اللحظات التي تبدو خطيرة بالنسبة لك.

هنا أعطاه مثلاً من نفسه: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ثم قال بعد: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة:٢٥٩) ويبدو أنه في وضعية منفرد هو وحده، لاحِظ هنا فقط هو وحماره وأكله وشرابه، وصل قرية وهي خاوية على عروشها، أي: لا يوجد هناك سكان ولا شيء ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ كيف يمكن هذا؟! مات هو مائة عام، وبعد المائة عام يبعثه الله ويقول: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾(البقرة:٢٥٩) خلال هذه الفترة لم يتغير؛ لتعرف أن الأشياء لا تكون على أساس أنها حتميات داخلها، لاحِظ مثلاً هذه القرية سكانها فنوا وقد يكون الفناء أحياناً بطريقة أن جسم الإنسان قابل للنمو ثم الانهيار، أليس كذلك؟ قليلاً قليلاً ليست هذه قضية بمعنى أنها شيء حتمي

وثابت، الله جعل القضية على هذا النحو هو، ثم قد تتعجب كيف يمكن أن تعود المسألة؟! لاحِظ طعامك وشرابك لم يتأثر بينما الحمار تأثر، أليس الحمار تحول إلى تراب؟ أليس الحمار انتهى؟ بينما الطعام والشراب لم يتغير.

أي: القضية في خاطره مثلاً، في نفسيته موضوع الطعام والشراب ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لتعرف أن القضايا الله هو الذي سن السُّنن، وقنن القوانين، وموضوع الهرم هو شيء يطرأ، من جهة الله جعل الأجسام على هذا النحو، وجعل الأشياء على هذا النحو، سواءً الإنسان، أو النباتات، أو هذا الحجم الكبير، هذا الجرم الكبير الأرض، وهذه الكواكب كلها، أليست كلها تتلاشى؟ تنتهي في الأخير.

﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾(البقرة:٢٥٩) قصته عندما يسطرها الله سبحانه وتعالى وهو هو عندما يخبر الناس ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾(البقرة:٢٥٩) بمعنى: نقيمها، أو (نَنشُرُهَا) بمعنى: الإحياء. النشر كأن معناه: عملية الإحياء، والنشز كأن معناه: إقامتها. ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ أي: رأى الحمار أمامه يتركب تلقائياً، عظامه تتركب وتكسَى لحماً، وينهق، جاهز، أليست عملية أمامه؟ لاحِظ هذا مظهر من مظاهر رعاية الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(البقرة:٢٥٧).

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ أليست المسألة هنا كأن فيها خاطرة شك؟ شك في المسألة، لم يشك في إيمانه بالله، أي: نوع خاطرة سيئة، خاطرة ظلامية ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة:٢٥٩) أليس هو هنا خرج من ظلمات إلى نور؟

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾(البقرة:٢٦٠) هذه العملية دون بالنسبة لقصة الذي مر على قرية، هو مؤمن بالقضية، فقط يريد أن يرتقي إيمانه إلى حالة يقينية مشاهدَة ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ كما قال، أي: المسألة عنده تختلف عن مسألة الشخص الأول: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ هنا قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(البقرة:٢٦٠) الاستقرار الإيماني، وهذه قضية مهمة، أي: قضية أن يكون الإنسان حريصاً على زيادة وعيه وإيمانه، وحشر كل ما يستطيع أن يجد من شواهد للقضية الإيمانية؛ ليصل إلى مستوى عالٍ مسألة هامة جداً.

لاحِظ كيف ارتقى نبي الله إبراهيم عليه السلام بروحيته هو، كيف كانت مواقفه قوية، من روحيته هو حريص على أن يرتقي إلى الدرجات العالية في الإيمان. هنا ليس لديه شك في المسألة كقضية إيمانية أنه يعلم بأن الله هو يحيي الموتى، لكن مازال يرغب أن يحصل على شيء راقٍ جداً في موضوع الإيمان؛ ليطمئن قلبه؛ لأنه أحياناً في بعض الأشياء القضية الإيمانية المجردة هكذا لا يوجد معها شواهد مُعيَّنة تكون معرَّضة للتساؤلات، معرَّضة للكثير من الدقدقة للشك عليها، كثير من القضايا يكون بعضها من هذا النوع.

﴿قَالَ بَلَى﴾ أنا مؤمن ﴿ولكن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾(البقرة:٢٦٠) هذه القضية تختلف عن قضية الأول، الأول جعل منه هو مثلاً في: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ هناك حالة مُعيَّنة يريد نوراً كثيراً ليمسحها تماماً، لكن هنا: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وتجد فيها مثلاً على أنه - تقريباً - ولو نسميه ظلاماً خفيفاً جداً أن الله يزيحه.

هناك ظلام يكون ظلاماً دامساً أحياناً، وظلاماً خفيفاً مثل ظلام وقت المغرب أليس هو ظلاماً خفيفاً؟ ليكون قلبه كله مشرقاً، قلبه كله نوراً، لم يعد فيه أيُّ شيء؛ ولهذا قال: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

ليست مسألة أن يقول الواحد قد صار عنده شك أو شكوك، أو كُفْر، أو أشياء من هذه، لا، إن القضية الأساسية أن تعرف أن كل مخلوق (ملائكة، أنبياء، إنس، جن) كلهم بحاجة إلى هدى الله، وأن الله هو الذي يهدي، أنه هو الذي يهدي، وليست المسألة وكأن الإنسان يخرج (أوتوماتيك) يكون هناك أشياء ثابتة لديه هنا يقول: بلى ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بأني أحيي الموتى؟ ﴿قَالَ بَلَى﴾ أنا مؤمن بهذا، فقط لديه رغبة أن يزداد هدى ويزداد نوراً، ولا يكون هناك أيُّ مجال نهائياً لأيِّ خواطر سيئة.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾(البقرة:٢٦٠) لاحِظ طريقة القرآن الكريم في ماذا؟ في تقديم الحادثة ما أجملها هنا عندما يقول: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أليس هذا واضحاً أن معناها: أنه سيذبحها، ويقطعها، ويخلطها، ويفرقها، اجمعها إليك ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ لم يتناول الأشياء التي هي معروفة، أي: منطقة الفراغ هنا معروفة ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا

﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ لأنه قال: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾، ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ ستعود إليك، وتعود هيَ هيَ نفس تلك الطيور التي أمسكتَ بها، وجمعتها، وذبحتها، وقطعتها، وخلطتها، ووزعتها.

﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة:٢٦٠) وموضوع البعث له علاقة بعزته بأنه قادر لا يعجزه شيء معنى أنه عزيز: أنه قادر لا يعجزه شيء، وقضية مرتبطة بالحكمة أن يكون هناك يوم آخِر وبعث يُعتبَر يوماً للجزاء على الأعمال بالشكل النهائي.

إذاً هذا مثل في مسألة النور عندما يكون الناس متولين لله، أنه ينير لهم، تجد أيضاً من النور مسألة أشياء مُعيَّنة يشجع الأشياء التي هي هدى، أليس هذا إدخالاً لك في موضوع الهدى، تقبله؟ فتكون ماذا؟ مستنيراً كتشجيع – مثلاً – بإغراءات كبيرة، لاحِظ في موضوع الإنفاق: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٦١) الإنفاق في سبيل الله قضية هامة، فمن رعاية الله لعباده وهو يريد أن يدخلهم إلى هداه إلى نوره بأيِّ طريقة تأتي عملية الإغراءات الكبيرة، التشجيع الكبير بماذا؟ بمضاعفة الأجر: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٦١) هذا مثل من أمثلة أن الله يخرجهم من الظلمات إلى النور.

فعملية التشريع التي تدفعك إلى أن تقوم بهذا الشيء الذي وجَّهك الله إليه هي عملية إدخال للناس إلى نوره، مظهر من مظاهر رحمته، فهي في نفس الوقت تُبيِّن أهمية الإنفاق في سبيل الله. لا أذكر في القرآن إغراءات في عبادات أخرى بهذا الشكل إلى سبعمائة ضعف ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ أيضاً لا يزال هناك يبدو فعلاً أن هذا وكأنه الحد الأدنى – مثلما يقولون – أن هذا مثل، ويعطي مثلاً لشيء حي وملموس: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾.

موضوع التمثيل قضية واضحة، أي: أهميتها في القرآن مما يؤكد للناس بأن موضوع المعرفة أن تكون أنت كثير التأمل لِمَا حولك؛ لأن الأشياء كلها من حولك تعطي معرفة. ألم يُقدِّم هنا من خلال النبتة الفلانية مثلاً للقمح؟ (وقد يكون هذا القمح) أليست قضية هناك تُعتبَر مثلاً واضحاً؟ قدَّم منها معلومة مُعيَّنة، يقرب إليك فهم عملية تضعيف الأجر؟ ألم يعط هنا معرفة؟ النبتة التي كانت حبة واحدة تحولت إلى سبع شتلات، وفي كل واحدة سنبلة فيها مائة حبة، أليست مثلاً واضحاً؟ تُعطي معرفة؛ لهذا الشخص الأول (عُزير) أعطى معرفة – يقولون: إنه عزير، والله أعلم من هو – حماره وهو يتركب أمامه، وطعامه وشرابه.

نبي الله إبراهيم من خلال تلك العملية، أي: من خلال الأشياء من حول الإنسان، ليست المعرفة مرتبطة بموضوع كتاب، الكتاب هو وسيلة من وسائل توثيق المعرفة، إذا كانت صحيحة يعطي معرفة، أمَّا إذا كانت خطأ فيعطي جهلاً، والواقع من مظاهر هذه الحياة، متغيرات في الحياة تعطي معارف واسعة جداً.

هل يوجد تشجيع أرقى من هذا: أن يكون الله قد وعد من ينفق في سبيله أن يضاعفه له إلى سبعمائة ضعف؟ فعندما يبخل الإنسان مع أن الله قال في الآية الأولى: ﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾(البقرة:٢٥٤) فعندما يبخل الإنسان يحرم نفسه هذا الأجر المضاعف، وهو في الواقع مما رزقه الله هو مَدين لله من البداية بأن ما لديه من رزق هو من الله، فهل يبخل على نفسه بما هو من الله أيضاً، ويبخل في أن يستجيب لله بأن ينفق مما أعطاه الله؟ أليس هذا يُعتبَر عملية متنافية تماماً عن موضوع الإنصاف والأخلاق؟ هذا يُعتبَر جحوداً.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذىً﴾(البقرة:٢٦٢) حتى عندما تتجه للإنفاق في سبيل الله هناك آداب وقضايا هامة تجعل إنفاقك بهذا الشكل الذي يكون له قيمته، يجب ألاّ تُتبِع ما أنفقت مناً ولا أذى (نحن قد أعطينا وأعطينا، ونحن أعطينا) وأشياء من هذه، لا ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(البقرة:٢٦٢).

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ أليس هنا اللاشيء بالنسبة للمال؟ إذا لم يأتِ منك صدقة إلاّ وتتبعها أذىً فافهم بأن الله كريم، الله غني عنك، أن تنفق في سبيله، وأن تتبع ما أنفقته مناً أو أذى، كلمة طيبة منك تكفي، ومغفرة من الجانب الآخر.

أحياناً يأتي التمنن كلام: (نحن أعطينا) وأحياناً أذى: التدخل في الموضوع بالشكل الذي مثلاً يريد يفرض رأيه في هذه القضية؛ لأنه أنفق فيها يريد أن يفرض رأيه، يريد أن يستغلها لأغراض مُعيَّنة لديه، يحصل أذى. كلمة ﴿أَذىً﴾ تختلف مظاهرها باختلاف القضايا التي يكون الناس فيها.

فقضية الإنفاق في سبيل الله في موضوع مثلاً الإنفاق لتمويل العمل لإعلاء كلمة الله يجب أن يريد الإنسان

بذلك وجه الله؛ ولهذا جاء بأمثلة بعد لهذا، وأن تفهم بأنك أعطيت ليس معناه أنك تتبع عطاءك، لا بُد أن تُقبَل رؤاك، وأن تُنفّذ آراؤك وتدخلاتك في كل قضية، لا. هذه القضية تؤدي إلى خلخلة في الموضوع فتكون ضرباً لسبيل الله، وليس فقط ضرباً لعطائك، تخسر عطاءك، وضرب للمسيرة نفسها، أو أن تكون بالنسبة لأشخاص، فالعطاء المفروض أن يكون بالشكل الذي يكون لائقاً بتكريم الطرف الآخر لا يكون فيه امتهان له، ولا استغلال له ولا أيُّ شيء من هذه، يكون فيه نوع من الأذى.

فالمغفرة مثلاً بأنه طرف آخر ربما قد أعرف بأنه فيما لو أعطى قد يُتبِع عطاءه مناً وأذى، ويتدخل في القضية التي أنت تتبناها، أو مشروعاً أنت تتبناه، مدرسة دينية مثلاً، أو مشروع، مصلحة عامة، أو أشياء، هذه القضية معروفة، فلا تطلب منه شيئاً، ولا تحاول أن تأخذ منه شيئاً، تغفر له في الموضوع من جانبك، قد تكون هذه لها علاقة: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ من هذا الطرف الذي يراد له أن يعطي لكن يتبع مناً أو أذىً فيكفي منه هذا، ما معنى هذا؟ معناه أنه قد خسر في نفس الوقت، هنا لا يكن منك إلحاح، بل مغفرة، اترك هؤلاء لا تحاول أن تلح عليه يعطي، أو تطلبه يعطي، أو تعرض له بأن يعطي، كأنك غافرٌ له القضية؛ لأنه مثلاً سيُتبِع ما أعطى مناً وأذىً.

لهذا نحن نقول في موضوع مدارس مثلاً أو مساجد أو أيِّ مشاريع عامة: هذه النوعية من الناس لا تحاول أن تقبل منهم شيئاً، ولا تلمِّح نهائياً، ولا تطلب في مقام دعوة عامة هم موجودون فيه فيقدِّمون، أحياناً قد يُقدِّم ألف ريال، أو ألفي ريال، أو حتى عشرة آلاف ريال في الأخير ترجو أن يسكت ولو تعطيه عشرين ألفاً بدلها؛ يتدخل في كل قضية، في ذلك المسجد أو المدرسة أو مشروع عام يتدخل فيه؛ لأنه قد أعطى ألف ريال، مناً وأذى، وفرض نفوذ، وأشياء من هذه.

على الإنسان أن يتجنب هذا، لا يفرح ويقول: (بَرَكَة) لا بأس أن نأخذ من هذا؛ لأنك في الأخير تحصل على أذية دائمة. واجهْه قل: (يا أخي خذ هذا الألف الذي دفعتَه ومع السلامة لا تشغلنا) يمكن لا يرضى أن يقبله، ويصير في الأخير مشكلة، فالناس يجب أن يحذروا هذه، إنفاق في سبيل الله، أو إنفاق في مواضيع، مشاريع، مصالح عامة، أو مسجد أو مدرسة، أو أيِّ مشروع آخر، تجنب هذه النوعية من الناس واتركهم لا شيء.

كأن الآية: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾(البقرة:٢٦٣) ليس مقام مغفرة من جانب الذي لا يُعطي شيئاً أن يقال: غفر، قول معروف من هنا، ومغفرة من هنا، أي: أنه هنا يقول إن كلمة طيبة أفضل من أن تُعطي ثم تُتبِع ما أعطيت مناً أو أذى، إذا جاءت منه كلمة طيبة: (كيف رأيك يا حاج أليس هذا عملاً باهراً؟) قال: (إلاّ عز الله باهر، وعمل جيد، والله يعينكم) ويكفي، لا تقل له: إذاً تعاوَنْ. مغفرة، أو يحاول أن يقول لك: (ليس لدي شيء الآن لكن إن شاء الله) لا يكون ولا حتى تعريض إذا واحد يعرف؛ لأنك أحياناً "تحنب"[1] دينَ الله مع أشخاص إن أعطوا مبالغ مُعيَّنة، حتى ولو كانت مبالغ كبيرة لا تفرح أبداً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ صخرة عليها تراب ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ ذهب التراب من فوقه صخرة ملساء ﴿لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ عطاؤه الذي هو على هذا النحو لم يبقَ له أيُّ أثر نهائياً ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة:٢٦٤).

موضوع المال هنا قضية هامة قدَّمها بأنها وسيلة من وسائل تزكية النفس، وسائل إقامة الدِّين، وسائل حسن العلاقة فيما بين فئات المجتمع، لكن يجب أن يكون على هذا النحو وإلاّ ستكون النتيجة عكسية بالنسبة لك، وبالنسبة لأثرها في واقع الحياة؛ لهذا جاءت العبارة مؤكدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ وكأن هذا قد يُبطل صدقتك ولو بعد فترة، لو أعطيت في حالة أنت أعطيت لله ثم تتمنن بعد سَنة أو بعد سنتين فقد يُبطل صدقتك هذه ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ فيكون حالكم شبيهاً بمن هو على هذا النحو، بمن ينفق رئاء، فتجد أن هذا الشيء الذي أعطاك لا يمثل شيئاً بالنسبة له ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾(البقرة:٢٦٤).

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٦٥) وأنت تعرف أنه بالنسبة لله سبحانه وتعالى هو جهة لا يمكن أن تتمنن عليه بشيء، ابتغاء مرضاته هدف رئيسي يتوجه إليه الإنسان بذهنيته وهو يعطي. ﴿وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(البقرة:٢٦٥) لأن للعطاء على هذا النحو أثراً كبيراً في تثبيت النفس، والاستقامة، والإيمان، تزكية النفس، وكأن المال أشبه شيء ببرهنة على أنك مصدِّق بالله، مستجيب لله، برهنة على

(١) تُحْنِب دينَ الله: من اللهجة العامية، وتعني: تدخله في مأزق.

صحة إيمانك، برهنة على تصديقك بوعد الله سبحانه وتعالى: بأنه يضاعف الأجر، وأنه يُخلِف على من أنفق بأضعاف مضاعفة، تزكية للنفس، يكون له أثر كبير في نفسك عندما تعطي وأنت تريد بعطائك وجه الله، ابتغاء مرضاته.

لاحِظ كيف المثل الجميل هنا: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾(البقرة:٢٦٥) كم الفارق بين هذا المثل والمثل الأول؟ صخرة صماء عليها قليل من التراب جاء مطر فنسفه ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ بمكان مرتفع قليلاً، أي: جنة خصبة بما تعنيه الكلمة ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ آتت أكلها ضعفين، أي: ثمرتها ضعفين، خصبة، يُبيِّن هنا أثرها الهام ﴿فَإِن لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ وحتى عندما يصيبها طل تعطي ثمرها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة:٢٦٥).

إذاً أيهما أفضل للإنسان أن تكون نفقته من النوع الأول أو أن تكون من هذا النوع؟ أليس هذان مثلين متضادين تماماً: صخرة عليها قليل من التراب جاء مطر فنسفه، وهنا جنة بربوة جاء المطر فجعلها تؤتي ثمرها ضعفين، حتى لو لم يكن المطر قوياً لو لم يكن إلاّ ﴿طَلٌّ﴾ رشيش – كما نسميه – فإنه يجعلها تثمر. هذا المثل لأثر الصدقة، لأثر العطاء عندما يكون على هذا النحو بالنسبة لنفس الإنسان، وبالنسبة لواقع الحياة في الأموال؛ لهذا عندما نقول: الناس يجب أن يعتمدوا على الله، وعلى أنفسهم في أن يكونوا هم ينفقون في سبيل الله بجهودهم مهما كانت بسيطة فإن الله يجعل لها بركة، ويجعل لها أثراً.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِن نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ هذا مَثل: عندما يكون إنفاقك مصحوباً بشيء مِن مَنٍّ أو أذىً ينسف – تماماً – ما قدَّمته ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِن نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ شيبة ضعيف ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ إذاً أليس هذا في أمسِّ الحاجة إلى جنته هذه وثمارها؟ لأنك في أمسِّ الحاجة إلى أن يبقى لك أثر ما تقدِّمه، عندما تقدِّمه على الشكل الصحيح. فأنت تنسف أثراً لشيء أنت في أمسِّ الحاجة إلى ذلك الأثر ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ وأنت (شيبة) وأولادك ضعفاء، وليس معك إلاّ هي، أليست تُعتبَر كارثة كبيرة عليك؟ لأنك في أمسِّ الحاجة إليها ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(البقرة:٢٦٦) على الإنسان أن يوطن نفسه على أنه عندما ينفق ينفق ابتغاء وجه الله، ينفق ابتغاء مرضات الله، فهنا توجيه يُبيِّن كيف يكون إنفاق الإنسان، وتحذير كامل بضرب أمثلة واضحة لِمَا ينسف عطاءك عندما يكون مصحوباً بمَنّ أو أذىً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾(البقرة:٢٦٧) بعد أن قدَّم المثل الجميل لأثر الإنفاق فتخيَّر لنفسك أنت، فلا تنفق الشيء الذي لن تقبله أنت، بل أنفق الشيء الذي هو مقبول فيما بين الناس ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾ أي: لن تأخذوه أنتم إلاّ على جهة الحياء ﴿تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ تأخذه وليس له قيمة عندك فتلقيه في مكان آخر، فقط على جهة التغاضي عنه تقبله على جهة الحياء كذا تقبله لكن أنت تعتبره ليس شيئاً.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(البقرة:٢٦٧) عندما يحث الناس على الإنفاق هو غني حميد، لكن لأن الإنفاق، لأن المال نفسه له علاقة كبيرة فيما يتعلق بنفسية الإنسان وإلاّ فالله هو غني عن الصلاة، وغني عن الصيام، وغني عن إنفاق الإنسان، لكن الإنفاق له أثر نفسي كبير، له أثر اجتماعي كبير، له أثر فيما يتعلق بالعلاقة فيما بينك وبين الله، أليس الله يقول: ﴿وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(البقرة:٢٦٥)؟ يُعتبَر المال محكاً إيمانياً، أن يكون مرتبطاً به مسؤوليات من هذه، وحث على الإنفاق منه يُعتبَر محكاً إيمانياً بعدما ذكر أنه سيضاعف للإنسان ما أعطاه، وسيُخلِف عليه بأضعاف مضاعفة، ويكتب له أجراً كبيراً.

فهنا عندما لا يكون عندك ثقة، ما الذي سيفضحك فأثبَت به أنه ليس لك ثقة عالية بالله؟ أليس هو جانب المال؟ المال أصبح محكاً إيمانياً فيما بينك وبين الله، وله أثره في نفسك، أثره في الناس، أثره في العمل الذي تتحرك فيه، فليس سبحانه وتعالى فقيراً، وليس عاجزاً عن ألاّ يكون هناك أيُّ دعوة لشخص أن يُقدِّم شيئاً، يستطيع أن ينزل مطراً دولارات، أليس يستطيع سبحانه وتعالى؟ أغلى عملة ينزل منها بشكل مطر، أو صخرات من ذهب، أو أشياء من هذه، أليس هو يستطيع؟

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾(البقرة:٢٦٨) لاحِظ الشيطان كيف يذكره في مواطن متعددة، ألم يذكره سابقاً أكثر من مرة؟ لتعرف وليعرف كل إنسان بأن الشيطان يظهر (يعمل) في كل مجال هداية في كل مجال تُدعَى إليه من قِبَل الله سبحانه وتعالى، قبل قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾(البقرة:١٦٨) وهنا وهو يتحدث عن الجانب المالي: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ الشيطان سيظهر

معك وكأنه ناصح لك (لا تضيع حقك، لديك البيت مليئ، وأنت كذا، تصرف حقك هم فقط سيلعبون به) يظهر وكأنه (شيبة) ناصح لك، يُخوِّفك من الفقر (لا تصرف حقك وفي الأخير لن يعطوك شيئاً، ولا أحد سينفعك، ولن يعطيك أحد من أولئك ولا مائة ريال قرضاً، اترك، ما لك دخل) وبعض "الشيبات"[1] يُمَثل شيطان حقيقة، بعض الناس يمثل في مسألة المال منطق شيطان.

بعدما قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(البقرة:٢٦٧) فعندما تنفقون فإنه يفي بما وعدكم به من الأجر ومضاعفة ما يُخلِف به عليكم. ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾(البقرة:٢٦٨) أقبح حالة، الفحشاء بمعنى: المنكر السيئ مثلما قال هناك: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾(البقرة:١٦٩) الفحشاء هنا: البخل، أن تبخل فلا تعطي سُمِّيَت فحشاء.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٦٨) إذاً فهنا انتهت القضية إلى أنكَ أمام: إمَّا أن تطيع الشيطان الذي يَعِدُك الفقر ويُخوِّفك من الفقر فينتهي الموضوع إلى أن يأمرك بالفحشاء، أو أن تستجيب لله الذي: ﴿يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾ فتعتبَر حماقة، ويُعتبَر موقفاً فاحشاً في سوئه: أن تستجيب للشيطان، ولا تستجيب لله؛ لأنه هنا قال ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ...﴾ كذا ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾ بالإضافة إلى أن الفارق أن الشيطان سيأتي فقط يوسوس، أمَّا الله فقد قدَّم آيات واضحة، ووعوداً واضحة، وأمثلة واضحة، فأن يستجيب الإنسان لوسوسة من شيطان، ويترك وعوداً صريحة يسمعها من الله، فهذا يُعتبَر فحشاء فعلاً، مواقف فاحشة في سوئها. الفحشاء: الشيء الذي هو منكر فظيع.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(البقرة:٢٦٩) أليس هذا إرشاداً إلى مواقف حكيمة وإلى تصرفات حكيمة؟ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ فعندما تجد آخرين لا ينطلقون على هذا الأساس فأولئك أشخاص ليس لديهم حكمة، خاسرون ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ الحكمة بشكل عام قضية هامة جداً، وقضية مطلوبة – تقريباً – في كل إنسان بدءاً من الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يكون حكيماً، القرآن نفسه حكيم، من يُعلِّم الناس يجب أن يكون حكيماً، من يهدي الناس يجب أن يكون حكيماً، والناس أنفسهم يُعَلَّمُون ليكونوا حكماء ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(البقرة:١٢٩) فالحكمة تجعل الإنسان حكيماً: في مواقفه، في رؤاه، في تصرفاته، في أقواله، في أفعاله، كلها حكيمة. لا يقابل الحكمة إلاّ أخطاء وتصرفات خاطئة، حماقة، آراء معكوسة، خسارات بعد كل موقف هو فيه، بعد كل رأي هو فيه.

﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(البقرة:٢٦٩) هنا فيما يتعلق بالجانب المالي أي: بالنسبة لمن يتحرك كموجِّه للناس لمن يتحرك ليُقدِّم للناس عملاً يتحركون فيه. تلحظ هنا في موضوع المال أنه موضوع حساس، أي: عندما تجد – هنا – الوعود العظيمة من جهة الله، والتشجيع الكبير المتكرر، أن تعرف أن المال له وقع في النفوس، فلا تحاول في عملك أن تكون بالشكل الذي يبدو مُرهِقاً للناس بحيث تكون طلباتي منهم – تقريباً – في مشاريع عملية وإن كانت في سبيل الله، طلباتي منهم بالشكل الذي ربما قد يكون أكثر مما أقدِّمه لهم من وعي، من هدى؛ هنا قد تؤدي المسألة في الأخير إلى نوع من التذمُّر، نوع من التهرُّب، وربما كما قال في آية أخرى: ﴿وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾(محمد:٣٦، ٣٧).

فيجب على الإنسان أن يفهم: بأن موضوع المال موضوع حساس، مهما كان الإنسان خيِّراً، ربما الأشياء المتكررة عليه قد تؤدي في الأخير ولو في حالة غضب مُعيَّن، ولو في حالة أن يحصل له خسارة في تجارة مُعيَّنة، فيقدح في نفسه أشياء، والقوادح في النفس قد ذكرها فيما يتعلق بناس كبار، ألم يذكر هناك بالنسبة لنبي الله إبراهيم؟ ﴿قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(البقرة:٢٦٠) أيضاً الشخص الآخر من أولياء الله عندما قال: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(البقرة:٢٥٩).

الله قال في الأخير: ﴿وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ كل أموالكم وأسئلة مجحفة ﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا﴾ ألم يأتِ هنا بخطاب عام؟ ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ (بعدكم بعدكم) هكذا ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ فيظهر كلام سيئ حول موضوع المال: (إنما ضيعوا حقنا، لا يوجد شيء، ولا رأينا شيئاً، ولا، ولا...) في الأخير لا تدري إلاّ وقد تحوَّل هو إلى مُحارِب للشيء الذي كان ينفق في سبيله.

يجب أن نتحدث مع الناس بشكل عام، أي: هذه القضية قرآنية أساسية: أن تخاطب الناس بشكل عام، وتحثهم على الإنفاق في سبيل الله، تحثهم على الإنفاق في مختلف مجالات البِر؛ لأن القرآن الكريم تناول المواضيع

(١) الشَّيَبَات: من اللهجة العامية، وتعني: كبار السن.

كلها، وتقدِّم كل ما شجع الله الناس به في القرآن الكريم، وتترك الناس على حسب اهتمامهم ومستوى إيمانهم وطاقاتهم، هذه قضية، حتى لو عندك – مثلاً – عشرة أشخاص أو عشرون شخصاً في المدينة الفلانية، أو في الجبل الفلاني، أو في المنطقة الفلانية كذا أشخاص يجب أن تخاطِب الآخرين وأن تذكّر الآخرين بأنها مسؤولية وأنها قضية يُدعَى إليها كل إنسان، وأنها إيجابية بشكل كبير؛ لأن الناس يستطيعون أن ينهضوا بأشياء كثيرة وبدون أن يحس أيُّ طرف بثقل، أو يحس بأنه أرهق، أو يحس بأنه وكأنه هو الذي يتحمل الأعباء بمفرده، أو مجموعة وحدها مهما كانوا خيِّرين.

يجب أن يكون الطرف الآخر أنا أو أنت رحماء بقدر الإمكان، فتقدِّم مشاريعك العملية بالشكل الذي تراعي فيه حساسية المال في النفوس، وبالشكل الذي لا يبدو مُرهِقاً للناس، وتركّز بشكل كبير في توعيتك في تبييناك، وتُبيِّن أهمية القضية التي أنت فيها، أهمية العمل الذي أنت فيه، أهمية الأطروحة الفلانية التي أنت تتبناها، فبمقدار اهتمامهم سيُقدِّمون.

فيجب أن يكون من الأشياء التي نعتمد عليها في موضوع هداية الناس وتذكير الناس، فلا تكن ممن يتحاشى أن تذكّر بأن الله سبحانه وتعالى ربط بالمال مسؤوليات متعددة، وجعل المال محكاً إيمانياً كبيراً، وجعل المال أيضاً وسيلة من وسائل أن يتنمَّى نفس المال في نفسه، أن يتنمَّى لك، وأن يكون وراءَه أجرٌ كبيرٌ في الدنيا وفي الآخرة. لا يكن الواحد مستحياً، فقط يُقدِّم له عبادات مُعيَّنة لا يكون فيها عبادات مالية على أساس أنه لا يقول: بأن قد صار لديه طلبات مالية!

قدِّم دين الله بشكل متكامل؛ لأنك أحياناً قد تقدِّم للناس عبادات مُعيَّنة من التي ليس فيها طلبات، هنا أنت تقدِّم الدِّين ناقصاً، بالشكل الذي لا ينفعهم هم. لا يستحي الإنسان أن يتحدث عن الإنفاق في سبيل الله، وبهذا الأسلوب الخطابي العام، وفي نفس الوقت بهذا الأسلوب الذي يُرفَق بكثير من ماذا؟ من التشجيع والدفع بالناس إلى أن ينفقوا في سبيل الله، ولا يكن عملك في نفس الوقت مليئاً بالمشاريع المالية، أناس هم بدؤوا يتوجهون هكذا فتقول: (نريد أن نبني مسجداً، نريد ميكرفوناً قوياً، ثم نريد كذا، ثم نريد كذا) لا، ينبغي أن يكون لديك فهم، قائمة أولويات – مثلما تحدثنا سابقاً – أولويات أساسية، وتراعي مشاعر الناس، والوضعية التي لا يزالون فيها، تذكّرهم وقليلاً قليلاً، وتذكّرهم بأن الله يقبل من الإنسان وإن كان مبلغاً زهيداً، فقط لا بُد أن تعرف بأنك تتعامل مع الله، أنت ستعطي بمقدار اهتمامك وإيمانك، وإذا بخلت فأنت تبخل عن نفسك ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾(محمد:٣٨) كما قال.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ موضوع المال موضوع يجب أن يكون فيه تصرفات حكيمة في توجيه الناس، في تقديم المشاريع العملية للناس، بأن تكون أعمالك بالشكل الذي يُبعِد أيَّ حساسية من النفوس؛ ولهذا نقول أكثر من مرة: العمل الذي نحن فيه، فيه مجالات اشتغل أنت بمالك حتى لا يأتي بعد أيام وتقول: (لا ندري أين ذهبت أموالنا؟ أو هم فقط سيأكلونها) أو يكون هناك منفذ لآخرين مخرِّبين من الذين هم منافقون يثبطون الناس عن الإنفاق، لا تعطِ شيئاً، أنت اشتغل بحقك أنت، أمامك (مَلازِم) مُعيَّنة، أمامك شعارات مُعيَّنة، اشتغل أنت بفلوسك في هذا الموضوع، أمامك أشخاص مُعيَّنون من الذين هم مرشدون ومعلمون، مَوِّلْ شخصاً أنت لينتقل إلى منطقة في سيارتك أو بفلوسك، اشتغل أنت.

قضية ملموسة بالنسبة للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يبدو أنه فعلاً كان في قضية جمْع الأموال لتمويل سَرية مُعيَّنة أو غزوة مُعيَّنة كان يجمعها خارج بيته؛ لأن هذا منفذ للآخرين يقولون: (لاحِظوا كم قد أدخلوا إلى بيته) وعندما يُخرِج لو أخرَجَ الذي عنده ونصفاً من حقه زيادة سيقول أولئك: (هذا قد لا يكون إلاّ النصف فقط مما قد أدخلوا إلى بيته، وما زال الباقي متراكماً هناك). هذا لأنه كان حكيماً ولذا قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ يتحدث في هذه الآية عن موضوع الحكمة في وسط الحديث عن الجانب المالي لنعرف بأنه موضوع يجب أن تكون التصرفات فيه حكيمة، ومع الناس حكيمة، والمشاريع تكون على أساس معرفتك بالجانب المالي أيضاً حكيمة.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(البقرة:٢٦٩) ولأن على يد من يُؤتَى الحكمة يكون هناك خير كثير، أعمال تكون مثمرة، حركة تكون مثمرة. وإذا لم يكن هناك حكمة في الأخير لا تدري إلاّ وقد صاروا يصيحون من أساليبه يكون فيها مَنفذ، أي: أنك يجب أن تفهم بأن القضية ليست فقط أنني أتحدث مع الناس عن موضوع مالي، بل يكون عندك نظرة عامة بما فيها الطرف الآخر الذي يكون هناك يتربص لأيِّ منفذ ليعمل دعاية مضادة، دعاية تثبِّط، عليك أن تراعي كل الاعتبارات، هذه هي الحكمة، وإلاّ قد تكون

مخلصاً وأميناً فعلاً لكن تنسى جوانب من الحكمة؛ فيكون في ذلك ثغرة للطرف الآخر يعمل دعايات: (هذا فقط يجمع لنفسه، وليس إلاّ كذا، وليس إلاّ...إلخ). ولأن المال جانب حساس فإن التشكيك - تقريباً - يكون مؤثراً فعلاً في الناس.

أحياناً إذا لم يكن هناك تصرفات حكيمة فقد يكون هناك مطالب مالية بالشكل الذي يصد الناس عن الحضور - مثلاً - في مجالس مُعيَّنة، أو مناسبات مُعيَّنة، مثلاً إذا تعوَّد الناس على أنه في مجلس يقدمون لهم (تعاوُن) في سبيل الله أو أشياء من هذه. معنى هذا ماذا؟ يكون الشخص الذي لو لم يكن إلاّ أنه ليس لديه فلوس فيستحي أن يحضر، أو أناس ما قد بلغوا درجة مناسبة - يكونون مستعدين أن يقدِّموا ولو شيئاً بسيطاً - فيكونون بالشكل الذي ينصرفون، فلا يَحضرون في مناسبات عامة؛ ولهذا ليس مناسباً أن تطرح قضايا مالية في مجالس عامة، أو في مناسبات عامة، تَحَدَّثْ في المناسبات العامة فيما يتعلق بأهمية الإنفاق، وقدِّمْ للناس المشاريع العملية التي ينفقون فيها، ولا تحاول أن تطلب - في نفس الوقت - من الناس شيئاً.

هذه القضية ثابتة؛ لأنك أحياناً قد تحرِج كثيراً من الناس (الجيدين) يستحي أن يذهب عندما لا يكون معه فلوس، يستحي أن يأتي (ربما يدعون لشيء وليس عندي فلوس فأبدو وكأني إنسان لا يريد أن يُنفِق) يتألم فعلاً لأنه غير متمكن أن يعطي، ويستحي أن يبدو أمام الناس وكأنه إنسان لا يريد أن يُقدِّم شيئاً؛ في الأخير يقعد في بيته ولا يحضر. فلا يكون موضوع الإنفاق، أو موضوع دعوات المال بالشكل الذي يعيق الناس عن الهدى، وهو يُقدِّم موضوعاً لتمويل الهدى، ولأن يهتدي الناس ويقيموا دين الله ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(البقرة:٢٦٩).

في موضوع الإنفاق افترض أناساً قدَّموا تبرعات أو غنائم حصلت، ثم يأتي إنفاق من طرف مُعيَّن يكون لديه في بعض الأوقات أولويات مُعيَّنة، فإذا الناس من البداية الإنسان المؤمن يرسَّخ في نفسيته: بأن الإيمان هو عطاء؛ لهذا يأتي الحديث كثيراً في مسألة أنه ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ تترسخ هذه النفسية عندك فتروِّض نفسك على مسألة: أن الإيمان هو أخذ وعطاء، ويهمك ماذا؟ أخذ أجر من الله، وما سيأتي من شيء يُخلِفه الله سبحانه وتعالى عليك، عندما يأتي إنفاق أموال لا تكون حساسة عندك.

في بعض المواقف في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) على الرغم مما كان يعمل، ويوجه الناس، والقرآن الكريم يتنزل عليه، أحياناً - ولأنهم كانوا آلفين مسألة جمع أموال، ويغزون بعضهم بعضاً، وأشياء من هذه - أحياناً يصير عندهم حساسية عندما يعطي من الغنائم أطرافاً مُعيَّنين.

في موضوع الحكمة، لاحِظ فيما يتعلق بالتأليف - ربما تأتي الآية بعد - ونتحدث قليلاً حول حديث الحكمة، وارتباطها وعلاقتها بالجانب المالي حول ما يُسمَّى (تأليف) يعتقد البعض أن التأليف معناه: من أجل ذلك يترسخ الإيمان في نفسه، ويؤمن بفلوس، ليست بهذا الشكل، أبداً.

التأليف عندما تنظر إلى المرحلة التي كان فيها رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فبدأ يتألف متى حصلت؟ بعد الفتح تقريباً بدأ يتألف، هنا الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) حكيم في هذا الموضوع، أي: نظرته واسعة، هنا الفتح يمثل انتصاراً كبيراً، ويُعتبَر قهراً لطرف، أليس يُعتبَر قهراً لطرف؟ ويُعتبَر في نفس الوقت مما قد يثير أطرافاً أخرى، فيكون العدو الخارجي يتوقع كيف ستكون هذه الجزيرة بعد الفتح؟ كيف سيكون زعماء عشائر، وأطراف أخرى، وقد رأى سلطان محمد قد صار كبيراً وقد صار يُشكّل خطورة مثلاً؟ قضية هامة جداً أن تهدأ الجزيرة فتبدو الساحة أمام الطرف الآخر ساحة هادئة.

فعندما أعطى أشخاصاً معيَّنين من الغنائم - كما حصل في (حنين) غنائم أخرى - فللتأليف وليس من أجل أن يؤمنوا بفلوس، أبداً. أحياناً لتستقر وضعية في ظرف مُعيَّن، ورؤية مع أنها رؤية بعيدة، ونفس المرحلة كانت مرحلة متأخرة هي مرحلة أنه يعطي مؤشرات، ويتجه إلى أطراف أخرى خارجية. الوضعية الداخلية مهمة فزعماء عشائر مُعيَّنون يمكن أن يُسكِته مبلغ فيسكت ولا يبدو مشاققاً، لا يبدو كذا... قد يمثل - مثلاً - موطئ قدم للعدو الخارجي الذي قد رأى بأن محمداً كَبُر في الجزيرة، يشكّل خطورة، العدو الخارجي يمكن أن يبحث عن موطئ قدم له. سَكّتَ أولئك، يعطي هذا، ويعطي هذا، ويعطي هذا. والمؤمنون الذين هم مجاهدون لم يعطِهم شيئاً، أو أعطاهم أشياء بسيطة جداً.

فهنا هي مبنية على رؤيته العامة للخارج، وليس فقط لِتَؤلِّف أشخاصاً ليؤمنوا، ليس هناك إيمان بفلوس، في دين الله ليس هناك أن يعطيك فلوساً لتؤمن! موقف حكيم في نفس الوقت ألاّ يُظهِر بأنه من أجل هذا: ألاّ يبدو وكأنه من أجل ألاّ يكون لديهم شقاق فيستغلهم طرف آخر، والطرف الآخر ينهزم نفسياً عندما يرى وضعيته

استقامت في الجزيرة وهدأت من بعد الفتح، لا يمكن أن يقول: (نريد من أجل...) لا، ولا حتى يوحي، قد يكون ماذا؟ قدِّم؛ ففهِمت المسألة بأن معناها: يتألف قلوبهم أو بمعنى: يستقرُّون في إيمانهم، ويسكتون، ويبقون مؤمنين هكذا.

فهنا عليك أن تعرف فيما يتعلق بالمال، في مجال أخذه وفي مجال إنفاقه، يجب أن يكون هناك حكمة، وأن تعرف أنه مؤثر تأثيراً كبيراً، المال له دور كبير جداً حتى فيما يتعلق بالعدو الخارجي، عادة العدو الخارجي – دائماً – يبحث الوضعية الداخلية، دائماً أول ما يفكر فيه تقييم الوضع الداخلي لك.

بعض كبار الشخصيات وزعماء العشائر في تلك المرحلة أعطاهم عطايا كبيرة جداً، ومؤمنون تُركوا بغير شيء من الذين قاتلوا، لكن ألم يكن هؤلاء المؤمنون في الأخير قد تكون نفوسهم هي الضحية لو أنهم يفكرون في المسألة على هذا النحو؟ يريد أن يحصل على ناقة – مثلاً – وعنزاً، وفروة، وأشياء من هذه، وبقيت شخصيات مُعيَّنة تشاقق، تمثل موطئ قدم للعدو، وتعطي صورة قلقة عن الجزيرة؛ فيهجم العدو، وفي الأخير تصعب الحالة على هؤلاء المؤمنين مقابل الشاة والناقة وفروة أخذها و(حَجَمة) وأشياء من هذه، أليس هذا أفضل لهم؟ الشاة (أطرف) والناقة (أطرف)[1] وأشياء من هذه.

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِن نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِن نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(البقرة:٢٧٠) ليؤكد للإنسان إذا كان لا يزال لديه رغبة بأن يرائي أو نحو ذلك، إذا كان متوجهاً ويبتغي مرضات الله فيعرف بأن الله يعلم ما قدَّم، وليكن هذا الشيء الذي يشجعك على أن تعطي، أي: أنك لا تريد أن يعرف الناس أنك أعطيتَ، قد يكون في مقامات مُعيَّنة إذا كان عطاؤك يُعتبَر تشجيعاً مثلما يقول البعض، مقامات محدودة ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِن نَفَقَةٍ﴾ أيَّ نفقة قلّت أو كثرت ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِن نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(البقرة:٢٧٠).

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾(البقرة:٢٧١) لاحِظ هذه الآيات، كلها حول موضوع الإنفاق، كيف يجب أن يكون؟ مجموعة ضوابط، مجموعة آداب بالنسبة لهم؛ ليكون له فاعليته ويكون له أثره ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ جيدة ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(البقرة:٢٧١) أي: موضوع الإخفاء يبدو أفضل ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وسيأتي خير يكون في مقامات يعني جنس الخير، وفي مقامات بمعنى أفضل – أي: كأن تقول: (أَخْيَر) لأنه ليس هناك اشتقاق بهذا الشكل في اللغة (أخيَر) – خير، أي: أحسن من الصورة الأولى في العطاء، ويكون العطاء على هذا النحو مما يكفر به السيئات على قراءة: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: يأتي العطاء على هذا النحو يكون سببٌ من أسبابه أن تكفر سيئاتكم.

لا أعتقد بصحة قراءة: (ونكفر) ﴿عَنكُم مِن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ من الذي يمكن أن يكفر السيئات؟ هو الله الذي يكفر السيئات. تلحظ المقام هنا أنه يتحدث عن نوعية من الإعطاء، أو عن حالة تعطي عليها فأن يكون التشريع مرتبطاً بالحالة قضية مهمة، أي: يتوفر أمران: أن ينشدّ في ذهنيتك الأثر لهذا العطاء على هذا النحو، وأنت في نفس الوقت تؤمن بأن مَن يعمل الأثر هو الله، فتكون قراءة: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الأقرب للسياق نفسه.

موضوع القراءة يكون بعضها اجتهادات، القراءات قد تكون اجتهادات، وقالوا روايات، لكن القرآن الكريم هو أعلى من مسألة أن يحصل فيه اضطراب في القراءة، هو يضبط نفسه بنفسه، في موضوع القراءة هو يضبط نفسه بنفسه، فهو يبرهن من داخله بشكل عام على القراءة الصحيحة في ماذا؟ في آية من الآيات التي فيها قراءتان أو ثلاث؛ لأن الكلمات لم تكن تُكتَب – مثلاً – مضبوطة بالشكل (حركات، ونقط) لهذا تجد أن القرآن الكريم يمثل مجموعُه ضمانة لنصوصه كيف تُقرأ، يمثل ضمانة لها حتى لو لم يكن هناك حركات ولا نقط؛ لأن النقط للحروف والحركات بهذا الشكل الواسع ما جاءت إلاّ متأخرة.

لاحِظ كيف العبارة هنا يكون هناك نوع من البُعد – تقريباً – في النص عندما يقول: (ونكفر) ﴿عَنكُم مِن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ مرحلة انتقال من المتكلم إلى الغائب[2] لأن (ونكفر عنكم) أليس معناها: ونكفر عنكم نحن؟ ثم يقول: ﴿وَاللَّهُ﴾ كلمة ﴿وَاللَّهُ﴾ أي: أن يأتي انتقال من المتكلم إلى الغائب يكون لها مقامات مناسبة ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٧٢) لاحِظ الأشياء التي تشجع الإنفاق أليست تأتي من قَبْل ومن بعد وأثناء الكلام؟ جاء من أول الآية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾(البقرة:٢٦١).

---

(١) الشاة أطرف والناقة أطرف: تعني هنا أن التضحية بالشاة أو الناقة أولى.

(٢) أي: انتقال السياق من ضمير المتكلم (نحن) إلى ضمير الغائب (هو).

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ نفس الهدى بأن يُقدِّم للناس بينات الله، ويُقدِّم البلاغ على أكمل وجه، أليست قضية منوطة به وعليه أن يقوم بها؟ لكن في أن يترك الأثر في النفوس شيء آخر، وهذا في الجانب المالي قضية قد يظهر فيها أنك قد تتحدث مع الناس، وتشجع، وتأتي بكلام كثير فتلمس بأن هناك أناساً استجابوا، وكثيراً لم يستجيبوا فيقول: لماذا؟ افهم بأن تلك قضية أخرى، أنت عليك أن تبيِّن، وتوضح، ويكون أسلوبك على هذا النحو، وتقدِّم هذا الهدى المتكامل ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

أي: ليفهم الإنسان أن قضية حركة الناس عادة تكون مضبوطة بضوابط من عند الله خارجة عن إرادتك، أحياناً - في قضية الجانب المالي - لو تعطى مثلاً أموالاً كثيرة في مرحلة قد تكون غير مناسبة، قد تكون مشاريعك كبيرة في مرحلة غير مناسبة، أي: أنه موضوع لا يصدك عندما تكون أنت تبيِّن للناس، وتحثهم على الإنفاق، وتبيِّن لهم هذه الأشياء التي تُعتبَر مشجعة، وجدت هناك أناساً لم يرضوا أن يستجيبوا فلا تقل: (إذاً يكفي، اتركهم هؤلاء، لا تتكلم معهم) يجب أن تواصل التبيين ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(البقرة:٢١٣) وهناك أشياء أخرى، ترتيبات أخرى كثيرة؛ لأنه قد يكون أحياناً هنا بـ(القطارة)[1] لكن هناك تدبير آخر بكميات كبيرة في تدبير الله، لأن جانب المال أليس عبارة عن آلية، عن وسيلة في إطار حركة مُعيَّنة؟ لا يستطيع الإنسان على الإطلاق أن يلحظ جوانب العمل الذي هو فيه، الذي هو جزء من تدبير الله سبحانه وتعالى، قد يكون من يستجيبون لك أو من يعطون أحياناً بالقطارة، ومرحلة لا تدري إلاّ وحصل كثير، ومرحلة...، أشياء لا تقعدك عن أن توجِّه الناس باستمرار، وتحثهم حتى على مسألة السبق إلى الفضيلة مثلما قال في موضوع الإنفاق إنه حتى بالنسبة وقد أصبح الإنسان سيعطي لكن في مراحل مُعيَّنة: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾(الحديد:١٠).

وفي نفس الوقت عندما تكون أنت تحث الناس على الإنفاق، وتراهم لا يتجاوبون بالشكل المطلوب (تقوم تتلفت) تبحث من أين يمكن أن تحصل على مال؟ إمَّا أن يكون الناس أنفسهم القائمون على عمل مُعيَّن يتحملون قروضاً كثيرة في الأخير تؤثر على عملهم في نفس الوقت وأنت قد صار عليك دين (لذاك، وذاك، وذاك) لم يعد بإمكانك أن تسدد الدَّين في الوقت الذي تبدو بالشكل الذي تحط من قيمتك وبالتالي قيمة ما توجِّه، وقيمة حركتك، أو تبحث عن أطراف أخرى دولية أو حزبية قد تساعدك في عملك، فتدخل في أخطاء كبيرة.

يجب أن توجِّه، أن تهدي، استجاب من استجاب، ومن لا يستجيب لا يكون بالشكل الذي يصدك عن أن تواصل التبيين، أو بالشكل الذي يدفعك إلى أن تبحث عن أطراف من هنا أو هنا، أو أن تتحمل أنت مبالغ مجهدة، مبالغ منهكة جداً، قروضاً كبيرة أنت ومن معك. حرِّض ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(البقرة:٢١٣) وهو أبصر بعباده.

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾(البقرة:٢٧٢) بعد الحث الكثير على الإنفاق بعدما قدَّم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ بهذه العبارة التي تعني: ١٠٠٪ كل ما تنفقونه هو لكم. هذه العبارات التي تبيِّن أثر المال، أو دور المال هو دور عام في الواقع. أي: في الوقت الذي ما تنفقه الله يخلفه عليك، فكأنك قمتَ بعملية تبادل تجاري مع الله، رده عليك بأضعاف مضاعفة، أثره هو لكم ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ لأن المال يكون له أثر في الأخير هو لك - كشخص - أنت الذي تنفق، ولكم، للمجتمع كله أثره يكون له أثر اجتماعي، وأثر شخصي فيما يتعلق بك أنت ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ قدَّمها بشكل أشبه شيء بقضية محسومة إخبارية، أي: ينبغي ألاّ يكون عطاؤكم إلاّ على هذا النحو: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ جاء هذا في أكثر من موضوع أن يقول: لا تنفقوا إلاّ وأنتم تبتغون وجه الله، هذا أسلوب وأسلوب راقٍ، أي: يجعلها قضية، وأنه لا ينبغي أن يكون هناك إنفاق إلاّ على هذا النحو، وأنكم يجب أن تكونوا على هذا النحو وأنتم تنفقون.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾(البقرة:٢٧٢) لاحظ التأكيدات هنا كيف هي تجعل الإنفاق هاماً جداً ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾(البقرة:٢٧٢) وأنتم تنفقون ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٧٢) لا تُنقَصون شيئاً، ولا تُبخَسون شيئاً مما وُعِدتم به. فالكثير من الناس على الرغم من هذه لا ينطلقون! أليس هذا وعداً إلهياً؟ ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ تُعطَونه وافياً، وأضعافاً مضاعفة كما وعد في آية أخرى.

---

(١) القطّارة، وتعني: كميات صغيرة.

يذكر فئة مُعيَّنة من الفئات التي هي محط للاهتمام بالإنفاق: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾(البقرة:٢٧٣) لأنه بالنسبة للعمل في سبيل الله أحياناً تكون وضعية الناس فيه مختلفة، هناك من يصبح بالشكل الذي يسيطر على كل وضعيته بحيث إنه لم يعد يتمكن أن يلحق أشياء مما يلحقه الناس من أعمال خاصة، هذه فئة؛ ولهذا قال: ﴿أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ باعتبار الدور الذي هم فيه، ويوجد أناس يمكن أن يكون في فسحة يستطيع أن يعمل في سبيل الله وأيضاً يمكن أن يجد له أعمالاً مُعيَّنة لأن أدوار الناس تكون مختلفة ومتعددة.

﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ ليس عندهم – أبداً – أيُّ تعريض أنهم بحاجة إلى مال، أو أيُّ تعريض في وضعيته وكأنه فقير ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ لحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ﴾ من تعففهم ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ لا بُد أن يظهر أثر الحالة عليهم وعلى أسرتهم مثلاً ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾(البقرة:٢٧٣) ليس لديهم إلحاح نهائياً.

أحياناً قد تكون عبارة كهذه، وهو قد سبقها في عبارة: ﴿مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ والتعفف – عادة – يتنافى مع السؤال، قد يأتي سؤال بأسلوب آخر مثلاً قرض أو سلفة أليس هذا قد يحصل؟ لا يحصل من جانبهم السؤال الآخر يكون فقط أنهم لا يسألون الناس بإلحاح وإلاّ فإنهم يسألون. الذي يسأل فإنه لا يُعتبَر متعففاً، الذي يسأل الناس يسألهم، أي: السؤال، أي: (الطلْبَة) ليس قضية القرض أو السلفة، وأشياء من هذه، أحياناً تكون تعريضاً بآخرين، تعريضاً بأناس من غير هذه الفئة الذين فيهم إلحاح في سؤالهم للناس.

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٧٣) أي: تلاحِظ هنا كما أعطى اهتماماً بفئة من المجتمع سابقاً: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(البقرة:٢١٥) هنا يذكر أيضاً فئة مُعيَّنة. تجد كل هذه الفئات التي يُركّز عليها يكون لها علاقة بموضوع العمل في سبيل الله، لها علاقة بموضوع بناء المجتمع بالشكل الذي يكون قادراً على النهوض بمسؤوليته في إعلاء كلمة الله، والالتزام بدين الله، في الموضوع هذا نفسه، لاحِظ كيف يكون التعبير عن الإنفاق مفتوحاً، ولا يوجد هنا تركيز على أنه مورد مُعيَّن ومنه ينطلق التوزيع؛ لأنه أحياناً مثلاً أشخاص هم يتحركون لا تستطيع أن تعرف حالتهم.

فالقضية ينبه لها الناس فمَن هم حولهم يستطيعون أن يكونوا عارفين لحالتهم يعطونهم مباشرة، ليس من الضروري أن تصل أولاً إلى جهة مُعيَّنة ثم توزع منها بشكل مرتبات، أو بشكل هبات، أو بشكل مساعدات شهرية، لا. القضية هنا تلحظ أنه هكذا أن الناس يحثون على الإنفاق وأن يتلمسوا وضعية بعضهم بعض، يتلمسوا من يرونهم يعملون في سبيل الله مثلاً قد يكونون من هذه الفئة، هنا يأتي الخطاب للناس: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾ بعدما جاء الخطاب عامًّا، أي: يلحظ الإنسان بأنها ليست قضية لا بُد أن يكون الناس عليها في موضوع أن يكون هناك جهة مُعيَّنة تنصبّ إليها الأموال، ومنها تنطلق المساعدات لمن يعملون وللفقراء... لا، هذه يحصل معها غياب في الذهنية لشخصيات كثيرة؛ لأن الإنسان أيَّ إنسان لا يستطيع أن يعلم الغيب، قد يكون هناك أناس متعففون أو بعيدون عنك فلا تستطيع أن تعرف وضعيتهم، أو تكون أنت – مثلاً – لك أولويات أخرى تأخذ نسبة كبيرة، يكون الناس هم أنفسهم في ساحة المجتمع المسلم يكونون هم يتلمسون الفقراء في قريتهم، في بلادهم أينما هم، هذه تشكل ضمانة أفضل.

فعندما يأتي التوجيه على هذا النحو يُقدَّم أمام الناس الإنفاق في سبيل الله، الإنفاق لفئات المجتمع: يتامى، مساكين، ابن السبيل، هنا فقراء أحصروا في سبيل الله. ألستَ هنا تجد أمامك عدة أشياء؟ أنت المنفق أنت تستطيع أن توزع نوعاً ما، وتلحظ ذلك الفقير هل ربما هو شخص يعتمد فقط على عطاءاتك أو أيضاً يأتي آخرون؟ تكون عارفاً بأنه أيضاً يأتي آخرون تعرف فعلاً أنهم يساعدونه تعطيه نصف مساعداتك مثلاً، أو تعرف وضعيته في حالة مُعيَّنة قد لا يحتاج إلى أن تعطيه في ذلك الأسبوع أو في ذلك الشهر بخصوصه؛ لأنك تعرف وضعيته، وأمامك قائمة الإنفاق في سبيل الله، وفئات أخرى.

فالتوجيه على هذا النحو وأن يكون الناس هم على هذا النحو أفضل. فعندما نقول: كل تبرعاتنا تنصبّ إلى جهة مُعيَّنة ويكون مع الناس وزارة مالية، أو معهم خزانة، وهناك يؤتى منها الفقراء، ويُقدَّم للفقراء، ويُقدَّم للعاملين، هذه من الناحية التربوية ليست جيدة بالنسبة للناس نهائياً؛ لأن أذهانهم تنشدّ إلى جهة فيرى أنه يعمل وهو منتظر لمرتب مُعيَّن، تترسخ في ذهنيته مسألة الأخذ، وهنا الإنسان يُربَّى على الأخذ والعطاء فلا يكون هناك جهة مُعيَّنة هكذا.

ولأنه فعلاً تحصل غلطة، لاحِظ الآن قد تلاحظ أن الدولة بأكملها لديها وزارة مالية، ولديها أرصدة كبيرة، ولديها، ولديها... وتجد الكثير ممن يعيش على هذا الضمان الاجتماعي، معظم ما يأتي إليهم مساعدات من الخارج، عندما يكون الإنسان نفسه بشكل ليس لديه اهتمام بالآخرين، أو حتى عنده اهتمام قد لا يصل في ذهنيته إلى استيعاب أن يعرف حالة كل الناس، فالذي يعرف حالة الناس هم بعضهم بعض، أهل القرية هم يعرفون وضعية الفقير بينهم، أهل أيِّ منطقة كانوا هم يستطيعون أن يُقيِّموا حالة بعضهم بعض.

لهذا لا يوجد هنا توجيه بأن الأموال تُصب إلى بيت رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهو الذي يتحرك بين الفقراء ويعطي. نحن قلنا في حديث أثناء اجتماع الجمعية[1] - أليست تُعتبَر ميزة لهذه الجمعية؟ - : أن تحث الناس، من العمل الكبير أن تحث الناس على القيام بأعمال البِر، والإنفاق في مجالات البِر هذه، والاهتمام بالفقراء، والمرضى، والمتزوجين، والمساكين، وهي بهذه الطريقة أفضل بكثير من أن تقدَّم أولاً إلى صندوق مُعيَّن ثم تخرج - هذه تكون لها سلبيات - مثلما تعمل جمعيات أخرى، هذا أسلوب القرآن في موضوع أن يكون هناك مجتمع متكافل.

في الأخير ترى هذا الموضوع فيما يتعلق بحقوق الجوار، وكيف يكون الناس منتبهين لبعضهم بعضاً، هنا أنت توفر أشياء كثيرة، لو نقول مثلاً شخص مُعيَّن، أو شكلت لجنة مُعيَّنة نقول: إذاً كل من يريد أن يتبرع لفقراء أو عاملين في سبيل الله يأتي بها إلى هنا، وتقوم هنا تعمل لك كشفاً سيظهر لك عمل كبير، وتضيع كثير من الجهود، ويحصل فيه كثير من الأخطاء.

إذاً فهذه الطريقة طريقة هامة جداً، الناس هم الأعرف بالفقراء، والمساكين، وسبيل الله، وكل ما قدَّم هنا، ألم يقدِّم أشياء متكاملة؟ تنظر إلى هذه نظرة عامة، من أول (سورة البقرة) إلى آخرها، وكل ما ذكره في سور أخرى، وهنا يوفر الناس جهداً كبيراً، وعملاً كبيراً، وقوائم كثيرة، وسخط كثير (وما أعطونا، وأخّر المعاش، وأخّر، وكذا...) أشياء من هذه تضيع الوقت، تضيع كثير من الجهود.

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٧٣) لاحِظ أليست الأوامر تأتي هكذا موجهة ﴿تُنفِقُوا﴾؟ أليس الإنفاق هو حالة العطاء؟ من البداية: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِن نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِن نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾(البقرة:٢٧٠، ٢٧١) أليست تتحدث عن الشخص نفسه عن كل فرد مسلم؟ تبدوها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا﴾ أليس هكذا؟ لا يوجد حديث عن جهة مُعيَّنة يجب أن تستقبل، وأن تقدِّم إليها ثم هي تقوم بالمهمة؛ لأن هذا أفضل من كل جهة وبكل الاعتبارات: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ﴾ ثم يقول: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ثم يقول: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٧٢) ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢١٥) وهكذا كلام بالشكل الذي يدل على أنه يحث الناس هم أن يقدِّموا هم ولهذه الجهات هي، ولم يقل تمرّ أولاً على أي جهة. فالإنفاق في سبيل الله أنت تعطيه في مجاله، والإنفاق إلى الفقير في مجاله، والإنفاق إلى المسكين واليتيم...إلخ.

ثم إن المال له أثر فيما يتعلق بنظرة الناس إلى بعضهم بعض، أي: عندما تكون أنت تعطي الفقير، أنت غني عندك سعة من المال تعطي أنت فقراء، فعليك أن تعطيهم بالطريقة المؤدبة، بالطريقة التي فيها حفاظ على كرامتهم، وعلى نفسياتهم، ومشاعرهم، هنا تتحسن العلاقة فيما بين الفقراء والأغنياء، فلا يحصل عندهم حسد، ولا يحصل عندهم تغيُّظ، ولا يحصل عندهم سخط، ولا يحصل عندهم - مثلاً - تفكير بأن يسطوا على أموالك، أو على (قاتك) أو على (بُنّك) أو على أيِّ شيء من هذه، أو يفرحوا عندما تحصل عليك كارثة، بل قد يمثلون عوناً لك.

أي: فيما يتعلق ببناء النفوس، فيما يتعلق بالألفة فيما بين الناس، هذه القضية لا تتحقق عندما أكون أنا أسلِّم كل التبرعات إلى جهة مُعيَّنة، وهي التي تقدِّمها، قد تكون نظرة الناس إلى الآخرين نظرة يمكن أن تكون سلبية عندما يكونون هم يرون هم - ولهذا أن الله جعل الزكاة من عين المال - لأن الفقير عندما يرى أموال (بُن) ويرى أموال (قات) ورأى أموال (ذرة) ورأى أموالاً هو سيعتبرها لنا جميعاً؛ لأنه يَعتبر أنه شريك في هذه، يوجد (قات) جيد هو عارف أنه سيكون له منه، (بُن) يعرف أنه سيُعطَى منه، (قمح) سيُعطَى منه؛ ولهذا كانت الزكاة من عين المال؛ لأن له أثراً نفسياً هاماً جداً، وهذا الأثر له أهميته في بناء المجتمع المسلم بحيث يكون متكافلاً، ونفوساً متآلفة.

---

(١) إشارة إلى جمعية مَرَّان الاجتماعية الخيرية التي أسسها السيد حسين بدر الدين الحوثي في منطقة مران - مديرية حيدان، وذلك بعد عام ١٩٩٣م.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(البقرة:٢٧٤) **وهذا أيضاً وعد هام جداً، وشيء مشجع بشكل كبير، تجد كم داخل موضوع المال من تشجيع! فنأخذ منه المنهجية التي ذكرناها سابقاً، تعرف أن هذه القضية هامة جداً، يجب أن تكون تصرفاتك حكيمة.**

نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لِمَا فيه رضاه، وأن يؤتينا الحكمة كما قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(البقرة:٢٦٩)**.**

إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الـمـوافــق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م
{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	الوحدة الإيمانية	{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى}	{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ}
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ